غبار العبث

هشام أباخو

غُبَارُ العَبَثْ

هشام أُباخو

شعر

إهداء

إلى كل من توهّم أنه وحيد في متاهة الشعور..

كتبتُ هذه النصوص لتكون مرآةً للقلق، وصوتًا لمن ضاق به الصمت فهرب إلى الكلمات. هي شذرات حرّة.. لأن القيد وهم، ولأن الشكل لم يعد قادرًا على احتواء المعنى. كتبتُها لأتنفّس.. وأهديها إليك، أنت الذي تعرف أن الوجود سؤال بلا جواب.

" ليس هذا الديوان اعتذاراً عن نصوصٍ كُتبت،

ولا تبريراً لما كان،

بل عودةٌ هادئة إلى ما قيل... من مسافةٍ أوضح."

" يقالُ أن الشعر كالنبيذ خاص بالأغنياء،

وأقول أن الشِّعر كالخبز عـامٌ للجميع".

تقديم :

كُتب هذا الديوان في صيف سنة (2023)، وفي الثالث من نونبر من السنة نفسها صدر في صيغةٍ إلكترونية ضمن نشرٍ ذاتي. لم تكن الكتابة آنذاك مشروعاً واعياً بقدر ما كانت محاولة لملء فراغٍ داخليٍّ أخذ يتشكّل بعد نيل شهادة البكالوريا، بوصفها آخر هدفٍ كنتُ أظنّ أن بلوغه كفيلٌ بمنح المعنى. كان الملل الوجودي هو الدافع الخفيّ، وكانت القصائد استجابةً أولى، عفوية وغير محسوبة، لذلك الإحساس.

نُشر الديوان حينها بدافع الاعتقاد بإنجازٍ ما، لا أكثر. أمّا اليوم، وبعد مرور عامين كاملين، فقد وجدتُ نفسي مضطراً للعودة إلى النص، لا لإنكاره، بل لمساءلته. جاءت هذه النسخة نتيجة مراجعات لغوية وأسلوبية، حُذفت فيها بعض القصائد، وعُدِّلت أخرى، وأُعيد تنسيق الديوان داخلياً قدر الإمكان، كما صُمِّم له غلافٌ جديد يتلاءم أكثر مع محتواه.

قد يبدو هذا التنقيح كشفاً عن طورٍ سابق من ذاتي، وربما لم يكن من الحكمة إظهاره، غير أنّه كان حتمياً بفعل تغيّر الرؤية، واتّساع دائرة المعارف، وتنامي الوعي. فالنصوص لا تبقى بريئة مع الزمن، ولا من القارئ الذي يعود إليها وقد تغيّر.

لم تكن معرفتي بالشعر واسعة أثناء كتابة هذا الديوان؛ اقتصر الأمر آنذاك على بعض الإلقاءات لمحمود درويش وتميم البرغوثي. غير أنّي، مع مرور الوقت، اكتشفت شعراء آخرين مثل مظفّر النوّاب وأحمد مطر، واطّلعت على دواوين شعرية

ورقية مكتملة من حيث البناء والرؤية. وكان لهذا الاكتشاف أثرٌ مباشر في إعادة النظر في الديوان وتنقيحه، لا من باب المحاكاة، بل من باب الوعي بما كُتب دون معرفةٍ سابقة.

وللتوضيح، فإن هذا النمط من الكتابة، أي الشعر الحر، يُعدّ من الأشكال الحديثة في الأدب، وهو وافدٌ في أصله، قريبٌ من النثر في بنيته، الأمر الذي دفع الشاعر العربي الكبير محمد مهدي الجواهري إلى تسميته بـ«النثر الفني»، وهي تسمية بالغة الدقّة.

عزيزي القارئ، ستجد في هذا الديوان حضوراً طاغياً لموضوعات الغربة والوحدة، إلى جانب قضايا أخرى تمسّ الروح والوجدان والعقل، بلغةٍ سوداوية حادّة، لا تدّعي الخلاص بقدر ما تصرّ على طرح الأسئلة.

إن الإنسان، مهما تظاهر بالقسوة، كائنٌ هشّ؛ همجيّ أحياناً، وراقٍ أحياناً أخرى، عصيّ على الفهم، وغامض الرغبات. غير أنّه، في جوهره، يخضع للجمال كما يخضع للقوة، ويسعى إلى امتلاكهما مهما طال الزمن وارتفع الثمن. ولأن الصورة الشعرية هي تجلّي الجمال، واللغة هي شكلٌ من أشكال القوة، حاولتُ جمعهما في هذا القالب الشعري.

وكباقي الكائنات، يحبّ الإنسان الحرية حبّه للخبز. ولأن الحرية لا تُباع ولا تُشترى، كان لي أن أكتب هذا النثر الفني، أي الشعر الحر ذو السطر الواحد، وأضعه بين يديك. اقرأ ما شئت، ومن أي موضع شئت، فأنت هنا بلا قيود؛ حرّ في قراءتك، وحرّ في تأويلك، وحرّ في ذاتك.

بني ملال؛ 01 دجنبر 2025

"مُنطفيءٌ وأَشعر"

هناك أشياء أكثر من الموت شراً،

كالعيش بدون هدف ومرضُ أمي،

كالنظر في السماء طمعاً في نسيان الآلام والأيّام،

كرؤية قطعة ممزقة إرباً إرباً،

نقسو على بعضنا البعض وتقسو علينا الظروف،

تمزقنا وترمي بنا أشلاء،

أسمع موسيقى الطيور وصراخ البنادق،

المرض أسوأ من الموت بكل الأعداد في مَرة،

الآذان أجمل صوت والدعاء بلا استجابة كطلب قهوة مُرّة،

تعجبني لكنني لا أستطيع شربها دفعة واحدة،

أمي،

واقعي وحلمي،

لابد للعبث أن يلعب دوراً في المسرحية،

دوراً كأنه حياة فيتحول لموت في رمشة عين،

كان الفقر خلالاً في منظومة الإنسان،

أصبح الغنى حلالاً رغم كون الثراء الفاحش حرام،

أطالب بعودة الماضي والعيش بداية من الحاضر في اتجاه الوراء،

لابد ومن الضروري أن أُعاني وأكون كعاقل مجنون،

أرمي نفسي في حُفرِ الضجيج باحِثاً عن السكون،

باحثاً.. هل أجد لحياتي مضمون؟

تعبت من الفراغ والدموع وذوبان الإنسان كالشموع من طول الانتظار،

تعبت سماع الأنين يصدر من الغُرفةِ المجاورة،

تعبت غباء البشر وجشاعه وتظاهُرَهُ العَظمةَ رغم ضُعفِه،

مللت من حياتي البائسة وابتسامتي المُزيّفة،

أنا لستُ سعيداً،

أنا غير راضٍ،

أنا منطفئ وأشعر بذلك،

الإنسان ممثل البقاء رغم أنه هالك،

أنا ممثل وملامحي تساعدني،

على وجهي تبدو الصلابة كمقدمة دبابة يخدشها الرصاص ولا يؤثر عليها،

في داخلي كتلة حزنٍ بل كتل أحزانٍ ودمع يهطل كشلالٍ من أعلى الجبال،

ليجف في صحراء الرُّبعِ الخالي قبل وصوله للأرض وظهوره للعَيَانِ ببضعة ثواني،

أكتب اللاّ خواطر لمن له خاطر،

بؤس سوداوي كفقدان السبابة وهي على الزناد وسط غارة في جبهة شرقية،

وأنا أحاول أن أنتحر لأرتاح،

خفتُ ألاّ أرتاح،

خفتُ أن أمرض في عالمٍ موازي لي فيه أبناء،

وأنا لدي فوبيا من الأبناء،

أتعرفين لماذا؟

لأنني لا أريد أن أكون سبباً في معاناة شخص آخر،

أنا لست مجرماً ولن أجعل الحب والشهوة وسيلة،

لن أدخن سيجارة على آلة رياضية،

لن أكون منافقاً كرجل دين يَبْتَدِعُ الأدعية،

لن أُصدر أي أنين في فراش من يحبوني،

إذا مرضت يمرضون.. وأنا لا أريد،

أيتها الغالية.. يا منبع النور والسرور لقد مللت المرضى،

أكتب بالدُّموع على لوح الطباشير الممسوح بلسان طفل بريء،

أكتب بالدم الأحمر وشظايا الصواريخ على تربة المريخ.. إنْ تطلب الأمر،

الكتابة لا تخبر بكل شيء وكذلك الكلام،

الدموع تعبر أكثر،

الملامح تفضح،

والإحساس القوي العذب من إنسان محب،

الصبر من خصال المؤمنين والنبي أيوب أُنموذج،

نحن لسنا بمؤمنين ولا صبر لنا،

صبرنا لأنّهُ ليسَ في أيدينا حولٌ ولا قوة،

فعلت كل ما في وسعي،

ركضت وجهدت وتعبت وفي الأخير تمنيت لو أنني أُجهضت وفُنَيت،

ضعفاء متكبرون،

ضعفاء نَتَظَاهرُ بالقوّة،

ضعفاء حسّاسون،

ضعفاء منافقون،

ضعفاء نُثيرُ الشفقة،

ضعيف ولست مثلكم.. ولا منكم،

"عابرون ببطءٍ"

أَيُّها العَابِرون،

رفقاً فأنتم تمشون على أرواحنا،

تَدُسُون على ما تبقى من أَجسادنا.. الهالكة،

أيها العابرون،

اخلعوا أحذيتكم وامشوا ببطءٍ فالصغار نِيام،

والكبار شاخوا وابتلعتهم الأرض،

وبقيت ذكريات الأيام كَمَوجٍ تتلاطم من مكان لآخر،

أتذكر والتذكرُ يؤلمني،

أَتَفَكَّرُ في أشياء يصعب فهمها أو تفسيرها،

أيها العابرون،

اجلسوا مع من تحبون قبل أن تجلسوا على حواف قبورهم،

اجلسوا أو اركضوا،

ستبحثون عن رائحتهم ولن تجدوها،

رائحة أغلى من عطور فِرنسا كاملة،

لو جمعت ورود وأزهار الدنيا كلها لن تستطيع إخراج قطرة عطر من تحب،

أيها العابرون،

اختلاط المخاط بالدمع بالمشاعر،

ما الفائدة؟

اختلطت الذكريات واللحظات بالأماكن،

ما الفائدة؟

تعذيب القلب،

تدمير الذات،

الذكريات كلما كانت جميلة كانت أكثر تدميراً،

الذكريات تبطءُ التقدم،

أيها العابرون،

لا تصدروا ضجيجاً اتركوا الطبيعة تغني،

الإنسان مرضٌ للطبيعة،

قاتل لها،

عابرون نمشي على رؤوس الأصابع في طريقٍ من المسامير والإبر،

عابرون نركض في صحراء من الحصى والرمل وراء قطيع من الإبل،

عابرون كالغرباء،

نُعَبِّرُ بعدة طرقٍ عن غبائنا وغيابنا،

نُعَبِّرُ عن أحلامنا وألآمِنا،

نُعَبِّرُ لعلنا نجد من يفهمنا في هذا العالم الغريب سيء الفهم،

أيها العابرون،

إن الأرض واسعة والهواء موجودٌ بما يكفي الجميع،

لكن الهواء ملوث برائحة الدم والأرض مملوءة بالذنب،

اللوم على الجميع،

عابرون ولكن،

أفعالنا.. أعمالنا.. غير زائلة،

أيها العابرون،

قفوا دقيقة صمت حِدَاداً على أرواحنا الميتة وجثثنا التي لا زالت تسير،

لكن مهلاً!

وقوفنا لن يبرر شيئاً حتى لو بِتنا واقفين ما تبقى من العمر،

أياماً أو سنين،

بِئْسَ المَصير،

نحن نكره من يحبنا ونحب من لا يحبنا،

قليلاً ما نجد شخصانِ محبانِ لبعضهما،

عبثية.. نسبية.. عابرة،

لذلك.. أَمُرُّ عابراً وقليلاً ما ألقي السلام،

"قَاسيّة الحياة"

قاسية الحياة كزوجة أبيك،

قاسية الحياة كمطرقة من فلاذ،

كحجارة تُرمى على قبر أمك وأنت جالس يمزقك الفراق،

كامرأة تطبخ الماء لأبنائِها لي يناموا والماء في أعينهم بكاء،

كعمّال في المخابز ينامون جيّاع،

قاسية الحياة،

كشجارة تشاهد أوراقها تسقط وتغادر،

كامرأة لاتزال تنتظر ابنها الضائع وسط البحار،

كرجل حمل الطوب والحجارة أكثر مِمّا حملها الحمار،

كمسافر وصل لأخير محطةٍ ليكتشف أنه أخطأ القطار،

كهارب من السجن ليجد نفسه بعد لَحظةِ حرية في حِصار،

قاسية الحياة،

كقمر أزرق يظهر في السماء.. لتحجبه السُّحب،

كشمس الصيف لا تعشقها معظم القلوب،

كإنسان لعوب،

كالصِّراعَاتِ والحروب بين بَائِعِي الشعوب،

قاسية الحياة،

كالنفايات في باب البنايات،

لا النباتات تحب رائحتها.. ولا الأشجار في الغابات،

ولا أنا أحب الحياة.. ولا هي تحبني،

القساوة على الروح جريمة.. والحياة مجرمة،

وأرضُنا أرضُ جنايات،

"رحل الطيبون تاركين أرواحهم تجول في جانبي"

أكتب بلغة سهلة ومعجم بسيط،

لعل عقولاً راقية تفهمني،

ما عدت أكترث لأحد،

فكل الذين كنت أحبهم رحلوا،

إلى ديار السلام،

تاركين أرواحهم تجول قربي،

أتحسس لحم فراولة جرّدوها ممّا يميّزها،

أحس بحرارة تنبض،

كنغمة عود تخترق قلبي،

أوتار كتاب مصنوع من جلد الضأن،

صنعٌ يدوي في بلاد المسلمين،

تحت شجرة خروب أجلس أشاهد الظل يتسلل،

تحت شجرة زيتون أجلس أشاهد ذكريات تؤثر علي،

رحل الأصدقاء وبيتنا بعيد،

أصبحنا غرباء،

حفرة في قلبي لا زالت تكبر وتتوسع،

فراغات هائلة بحجم الكون،

****

السماءُ سماءِ،

والأرضُ أرضِ،

وهذا الجدار فاصل بيننا،

يصعب الفهم لأن الأراضي رغم وسعها ليست لنا،

ولا الحرية لنا،

ولا الشعر لنا،

ولا الخبز لنا،

ولا الحب لنا،

ولا نحنُ لبعضنا،

ولا نحنُ لأنفسنا،

أدوات في يد الزمن،

على مجرى السيل الراقص أجلس،

على صخرة أشاهد نفسي في انعكاس الماء،

كبرت وأنا صغير،

شِختُ يا وطني،

جفت ملامحي قبل برك ماء المطر،

نسيتُ كيف كنت قبل أربع سنوات،

الباب موصد على قِطَعِ الغيار،

كان لابد من الحضور والانصراف بعد ذلك،

انصرفت إلى المجهول وبقي اسمي في لائحة الغياب،

كُتب تحت صورتي إنسان حالم،

رغم أني لم أكن جيداً بما فيه الكفاية،

مدمن قهوة،

صانع موسيقى،

أحب المشي والهدوء،

ولأنه ليس لنا بحر،

كنت أجلس قرب النهر،

حسب الطلب النفسي،

أحارب أحلاماً لم يكن أبناء السلاطين يحلمون بها،

كوابيس كانت،

طويلة كعنق الزرافة وأرجل الكروان،

****

أحلام العصر غريبة،

سفينة تبحر في رمال الربع الخالي،

لها شراع أزرق،

قبطنها رجل من العصر الأموي،

تُجّار يبيعون الدواء للجوعى،

بينما كان في جعبتي رغيف يابس،

نشرب الشاي على جوع كافر،

لا نريد دواءً.. نريد خبزاً،

نريد أرضنا وما عليها من طحين وسنابل،

نريد ماءنا.. وتيننا.. وحريتنا .. ودماءنا،

نريد حياتنا،

وأن نعيشها بسلام،

"دِفءٌ بَارد"

حلقة من الغيوم نجلس حول موقد النار،

نتبادل أطراف الحديث،

فلانةٌ حامل فلانٌ مات،

أقاموا العزاء في خيمات،

إبريق الشاي على الجمر،

بريق يصدر من اللّهَب،

أتأمل ألون النار،

أزرق.. أصفر.. برتقالي،

أنسى المشاكل إن وُجدت في بَالي،

حِلِيٌّ.. حَلوى.. حُلوٌ.. ماء.. زهرٌ.. وقهوة،

أيام محطمة لجدران القلب،

قاتلة كسم العقرب،

خطوة خطوة،

المولود جثة مستقبلية،

رضيع أراه هيكلاً عظمياً،

الموت أكثر المخلوقات شراً،

مِن قَبْلِهِ الحياة،

قنبلة موقوتة تحصد الآلاف،

قُتِلَ الأبرياء قرب الموقد حيث تجتمع العائلات،

الفشل عمل،

الفشل نجاح،

لكنّهُ انتهى،

انطفء موقد النار،

"وحدةُ مغترب"

أتى الصباح.. أشرقت الشمس.. غرّدَت الفراخ،

ثانيةً نفس الوجود والأفعال والوجوه،

نفس الإحساس بالوحدة والاكتئاب،

تتكرر الأيام والسنوات،

نفس الأحداث،

نفس العتاب،

نفس الاغتراب،

والوحدة.. والشِّدَة،

أعيشُ أياماً مُحطمة للبأسِ.. بفأسٍ فولاذي،

بسهام حارة حارقة،

مات الإحساس وأنا أُحِسُّ،

شاردٌ.. متشردٌ.. ناسٍ أنني أنا هو،

إنسانٌ مخلوق من طين مخفوق،

أمشي وعقلي في قلبي أتذكر وأبكي،

أحكي لوحدتي،

أسألها.. لما أنتِ وحدكِ؟

لتُجيب:

أنتَ معي لَبِستني وقبّلتني وقبلت بي وقُلتَ لي،

يا عزيزتي..! وحدتي ساكنةُ روحي أحبكِ،

كيف أغادركَ إذاً؟

أنا لست كالبشر،

أنا لا أغادر وأترك من يُحبني،

إنني الوحدة ألا تعرفني؟

لك أيام متشابهة لأنني لا أتغير،

أعيش في داخلك،

ألمكَ داخلي،

أنا الشفاء أتسمحُ لي؟

أذ كان كذلك فنعم،

فأنتِ،

وحدتي واكتئابي يُساعدني لإظهار إبداعِ في كتاباتي،

كطريقٍ تربط ماضيّ بحاضري،

تصلني بهما،

تفصلني عن المستقبل،

إنني إنسان والإنسانُ من النسيانِ وأنا أتذكّرُ،
خشيت المستقبل ومللت حاضري،
عشتُ في الماضي وعشقته،
كان أفضل حالٍ من هذه الأحوالِ،

غريبٌ عن نفسي وعن وطني وعن كل الناسِ،
أين المفيدُ والفاسدُ والطريق بي يميلُ،
أين الزّارِعُ والحاصدُ.. أمواجٌ في البَرِّ تسيرُ،
فَرَاغُ الناسِ على الكراسي يجلسُ ويُطِيلُ،
فَارِغَ كأسي من قهوةٍ وشَارِدَ ذهني،
غارقٌ فاقدٌ حسي في زوبعةِ التفكير أَدُورُ،

"هُدوء"

في صباحِ يومٍ مشرقٍ مِن الربيع،
استَيقَظتُ على رائحة القهوة،
على رائحة الأفران ومخابز الحلوى،
على جوانب الشوارع هناك شتلات،
زهور مبتسمة والندى يلمع على سيقانها،
صوت العصافير تغرّد،
والشمس مُطِلّة غير ساطعة،
مُظلة لأنها السابعة،
لا هدير ولا ضجيج محركات،
سوى دراجات هوائية تمشي على عجالتها،
بِعُجالة وأخرى على مهلها،

كأنني في الجنة.. أحب الهدوء،
أحب الاخضر وأكره اليابس،
مبتسمٌ في داخلي رغم وجهِ العابس،
أكره الضجيج،
أحب الشروق كحبي للغروب،

وبعض الكرهِ لباقي النهار،

لباقي الفصول.. القاحلة.. الساخنة.. الحارة،

كيونيو ويوليوز وغشت،

إلهي..! أحب أن أعيش أيام الشتاء الممطرة،

فصوت المطر يشعرني بالراحة،

أكتب بلا مبالاة وأنا أشرب قهوتي عند النّافِذة،

أحب أن ينسجم الشروق والغروب،

كما ينسجم العَشقانِ وينسيانِ العيوب،

أن أنسى الألم والملل إلى الأبد،

"لَم يسبق لي"

لم يُكتَب لي أن زُرت البحر من قبلُ.. واشتكيت له،

لم يسبق لَكِ أن غَدَرتي ذاكرتي ومخيلاتي وأحلامي،

لم يسبق لي..

لم يسبق لي أن استنشقت عطراً غير عطرك ولو بالخطأ،

لم يسبق لي أن نظرت في عيناي.. في مرآة أو حتى في زجاج إحدى المباني،

لم يسبق لي أن أكلت رغيفاً مع الأغنياء.. مالاً أو شربت شراباً أو شيآ،

لم يسبق لي.. أن انتظرت أحداً غيرك.. سوى الموت،

لم يسبق لي أن سمعت صوتاً غير صوت المِئْذَنَةِ.. في أوقاتها،

لم يسبق لي أن نظرت لوردة ولا قمر دونما أن أتذكرك،

خيالٌ.. سحرٌ هذا أم ماذا؟

وصلت لدرجة الجنون.. أتخيل العدم هي،

أراها في الحدائق والسماء،

في البساتين تقطفُ الزُّهور،

وعلى الأريكة تداعب شعري،

على شفتيها عسل وابتسامة،

وعلى خدّيها خجل واحتشامَة،

في عنقها عقيقٌ وشامة،

أحبها وأكرهها،

هي سارقة.. سرقت أثمن ما لدي،

قلبي،

سكنته وسكنت أفكاري وفؤادي،

هي محتلة.. احتلتني بالكامل،

كأنني بلد إفريقي وهي فِرنسا،

"وردة"

أيا وردة الخريف،

وحيدة،

بين أقدام المَرَّة،

في الحدائق والبساتين،

كهدية يهديك حَبيبٌ لحبيبه،

أو يضعك تاجر كزينة لمحله،

أو يبيعك طفل فقير بريء للعشاق ليكسب قُوتَه،

ليخيب ظَنّ العشاق في بعضهم وأجدك مرمية قُربَ حاوية قمامة،

أو في مرعى تأكلك الأغنام،

في كل الحالات تبقين وردة جميلة المنظر.. طيبة الرائحة،

لتمر الأيام،

وتبدئِين بالإصفرار وفقدان اللون،

وفقدان الرائحة،

وفقدان العشاق،

لن يرغب بك سوى طفل يريد أن يلهو،

أو عصفور رحيم يريد أن يبني عشه،

أو ربما معزة جائعة،

ليكتشف العصفور أنك ثقيلة عليه.. لا يستطيع حملك،

ويُكتشف أنك قُطفتي وبقيتي بلا أصل،

سوى غصن.. بلا أصل،

لا تصلحين لشيء يا وردة،

فقد أصبحت دُبال،

طعام للأرض والديدان،

"سُجنت في الهَوى"

أليسَ عيباً؟

أليسَ عيباً أن أكون شاعرًا؟

أن أكون فيلسوفاً وكاتباً،

أن أكون للهوى والشوق مطرباً،

أن أكون أنا.. جوهري مختلف،

حقيقي لستُ ولن أكون زائِفًا،

ومع ذلك.. إذا رأيت الجمال فَررتُ خائفاً،

من السقوط،

من الوقوع في الوهم،

لم أحظى بشرف التجربة،

أخشى أن أجرب وأُخان،

وأن أُحرق وأُرمى في زوبعة النسيان،

ولن ينفع الكتمان،

لم يعد يشعرُ بالإنسانِ إنسان،

يا شهية المنظر،

يا رقيقة القلب،

يا نحيفة الخصر،

عذراً.. عذراء؟

فلم أعد أستطيع أن أرى،

جمالك شهي وحَسن،

يخضع له كل من نظر،

وهذا إحساس،

وأفعال،

والشعر،

والقِصاص،

والقَصَاص،

لكل من نظر،

اللّباس.. على جسدك،

يا عزيزتي،

سُجنت في الهوى،

خشيت اليأس،

خشيت أن أموت ويُفقد البأس،

وأفقدك،

وأفتقدك،

وأن أُحرق وأنا أحاول أن أجدكِ،

" أنا والحياة "

شُعاعٌ أصفر من شمس الربيع يداعب بؤبؤ عيني،

وأنا على سرير أبيض،

خصر الجميلة فوق يدي،

يلامس شعاع الشمس أيضاً،

وشعر الحسناء على وجهي ووجهها،

شعاعٌ ذهبي على لحم أبيض،

كسنابل القمح تتلاعب بها الرياح،

وسط حقول الذُّرة الذهبية،

أنا والحياة،

في فصل الخريف،

أنا والحياة،

في فصل الشتاء،

أنا والمطر.. حياة،

ولا زلت أبحث عن الحياة،

وعن معناها،

عن معنى الوجود،

استيقظِ يا حسناء فقد أشرقت الشمس بدونك،

على الشمس أن تَستيقظ قبل بزوغها،

استيقظِ لأمتص منكِ الطاقة والأمل،

لتزيدي لوناً يخصني فوق الأبيض والأسود،

ونكهَة العَسَل،

لأستنشق الورد من عنقك،

لأعانقك،

لأنسى معاناة ماضت،

وألَماً حَصَل،

وألمِسَ السماء بيدي،

وأحضن السحاب الرطب الدّافِ،

إلى صدري المهترئ،

إن الياسمين لا تحلو رائحته ولا تطيب إلا بتواجدك،

والطعام مُرُّ المذاق في غيابك،

لأنك عسل.. وما رحيق الزُّهور،

وما العسل سوى سكرٍ في حضورك،

عسلي،

حلوةً.. حلوتي،

شهية في حضن الربيع،

دفء في اللّيالي الشّتاويّة،

وثلج في عز الحر،

عصفورة تغرد على أوتار قلبي،

وعلى قفص صدري،

ألعق العسل من منقرها،

واقرأ دواوين الشعر في حضرتها،

شفاه تنطق بعفوية،

تقبل الكون بقبلتين،

على الخد واحدة وتَحتَ الأُذُنِ واحدة،

لمست الكون من يَدَيْهاَ،

ضوءُ الشّمسِ نَهْدَيْهاَ،

نور القمرِ ضوؤها،

ثورة الأحاسيس تجعل مزاجي يتغير،

وقبل معرفتها لم أكن قابِلاً للتّغَيُّر،

"بائع السّعادة"

يا بائع السعادة!

توقف،

أريد كيساً من السعادة،

ما يكفي لعيش هذه الحياة البائسة،

خذ الثمن ونولني إياه،

ضعه في كيس أسود،

لا يُرى ما فيه،

رؤية الناس لسعادتي تَعني فُقدانها ،

الناس سيئة،

.. لا يهم،

هل تعلم يا بائع السعادة،

هل تعلم معنى كلمة وطن؟

هَهْ.. كلمة وطن لا معنى لها،

لا ثمن،

سأبيعه لك،

سأبيعه مقابل السعادة،

هذه المرة في قنينة،

ناولني إياها،

أريد نسيان نفسي،

ذكرياتي مُدَمِّرة،

تغرقني في زوبعة الحنين،

بحر النوستالجيا،

بحر من طين،

أريد نسيان الأذى،

يا بائع السعادة!

إن البكاء لم يعد ينفع،

جفت عيناي،

الدمع في قلبي يسيل،

لحظاتٌ بالكادِ تَسير،

أنا..

أنا في وطن الحرية أسير،

مكبل بسلاسل،

أمشي خطوة.. أتعثر .. أسقط على الحصى،

على شوكٍ عسير،

يا بائع السعادة!

أعطيني قرصاً مهلوساً،

مللت المناداة،

وماء الحياة،

أريد أن أنسى،

الذكريات دوامة،

إن الموتَ أرحم من العيش في وطني،

والوطن لفظٌ خالٍ من المعاني،

والديوانُ هجاءٌ للوطنِ،

****

يا بائع الأرض،

يا بائع الوطن،

أعطيني رغيف خبز،

وساعة من الزمن،

لأشرب دموعي وأضمد جروحي،

لأحسب كسرات ضلوعي،

لا بد من ركوعي،

أجل !

للذي خلقني وفطرني،

الذي سواني فأعطاني،

فسرقت مني ما أعطاني،

لله،

له الدعاء والصلاة،

كلما رفعت عيناي للسماء،

ترجيته،

أن ينصرني،

ويعطيني وطناً خيراً من وطني،

كاسِرَ قلبي ومُحطّم أسناني،

والقاطعَ لساني،

كسرني وكسر كل شيء في داخلي،

قتلالأمل،

أبخس العمل،

حرمني من نور القمر،

وضوء النهار،

أكتب ويداي ترتجفان،

أصابعي النحيفة،

والدمع في عيناي الغائراتان،

أرى حزني من الداخل،

أرى الندوب والدم،

الظلم والألم،

اليأس والهم،

تعرضت لشتى أشكال التعذيب،

ليس من أحد،

من نفسي،

من عقلي ووحدتي وصمتي وعزلتي،

من وطن لا أنتمي إليه،

من الليل،

من النهار،

من الدنيا الدانئة والحياة التي لم أعد أرغب بها،

العبثية،

نولد لنموت،

نموت لأننا وُجدنا،

دون أن نقرر لأننا لا نمتلك القدرة،

أنا أريد أن أكون لاشيء،

أن ألاّ أكون،

وردة أو عدم،

ألاّ أكون،

"كتلة أحلام"

هل تذكر ذلك؟

يا صاحبي!

هل تذكر عندما كنا صغاراً،

كنا كالملائكة،

أحلامنا كانت بسيطة،

مثلنا،

والآن ظهرت الحقيقة،

تحول الملاك لشيطان،

منا من كان يريد أن يصبح طبيباً يُداوي الفقراء بالمجان،

منا من كان يريد أن يصبح أستاذاً ،

ومنا من اقتدى بالرّسول في رَعي الأغنام،

ومنا من كان يريد أن يصبح شرطياً يحارب الفسَاد والإجرام،

مِنَّا ومنا.. أحلام،

كنا كتلة أحلام،

والآن،

رحل بنا العمر وبقيت الأحلام،

لا شيء تحقق سوى الكوابيس منها،

رحل الأصدقاء،

مات الآباء،

نُسي الأدباء،

الوطنية دون فداء،

رحل من أحببناهم،

كل الأشياء الجميلة اختفت،

الزوايا مهجورة،

بعض الأسماء في الذاكرة محفورة،

وعلى الجدران،

علامات تشير.. بشر كانوا هنا،

طيبين.. يحبون الخير لبعضهم،

تغيروا.. حينما اكتشفوا الحقيقة،

ما يخفيه الوُجود سِرّهُ،

من معاناة وألم،

ليتَ كل شيء بَقيّ على طبيعته،

تلك الابتسامات،

الضحكات،

تلك القلوب الوردية الحمراء،

النابضة بالحب.. والحياة،

****

للوطن أبناء،

وقد رحلوا،

تركوه ينزف وحيداً،

والذين لم يستطيعوا المغادرة لأسباب،

هم ينزفون معهُ،

لم يحققوا شيئاً إلا رغيف خبز،

سهل الانكسار،

كقلوبنا،

هل يشبع قاطف الخوخ بطنه؟

وصائد الخوف جيبه؟

لا ريب أنه لن يفعل،

فأرض الوطن ليست له،

الوطن لمن حرق أوراق الكتاب،

وتدَفَّءَ بقلوب الأمهات،

اللواتي تعبنَ يشاهدنَ أمواج البحار،

لعل فِلْذَة قُلوبِهِنَّ تُرمى.. عضامًا أو ملابسَ أو لَحمآ،

****

أعطي لنفسي أملاً،

وأنا أعرف أن هنا لا أمل،

غابت الشمس واختفى القمر،

****

ما أوسع الأرض،

واسعة لدرجة أننا لا نمتلك فيها شبراً،

لا نمتلك فيها مكاناً لنُدفن،

لا نملك فيها ذَرّة غبار،

لا نملك منبت شجرة،

لا نملك غصناً أو حجرة،

سوى ألم من عالم،

وراية بيضاءَ.. حمراءَ.. سوداءَ.. رفعناها للقممِ،

لكنها لم ترفع بِنا عندما سقطنا،

لم تصرف عنا شر البلاء،

شر البلاد،

"نُبتلى بأشياءٍ زائلة"

ماذا نريد؟

لا أحد يعلم ماذا يريد،

فوق فرس بيضاء،

اتسابق مع الرّياح،

إلى أين؟ ولماذا؟

من يعرف يا ترى؟

نُبتلى ولا نعرف بماذا،

بأشياء تافهة،

بمال يفنى ويزول،

كالإنسان،

كالجمال،

نفقد كل شيء حتى نُفقد،

حتى نموت ونترك كل ما جمعناه،

هل نريد المال؟

أمِ الصحة.. أم الجمال..؟

أم الحياة.. أم السفر..؟

نريد كل شيء،

ولا نعرف لماذا؟

نسعى جاهدين للحصول على أشياء زائِلَة،

أشياء لا نحتاجها،

وبمجرد حصولنا عليها،

نفقد الرغبة والشغف،

نشعر بالملل،

لنترك هذه الأشياء،

ونبدأ السعي وراء أشياء جديدة،

إلى متى؟

الإنسان فاقد للقناعة،

طمّاع،

يريد ويريد،

يطمع بالمزيد،

كلما حصل على شيء.. رغب في غيره،

يجري ويُجاهد ويَتعبُ.. ليجد نفسه في حفرة باردة مظلمة في آخر المطاف،

غباءٌ هذا،

فل نعيش اللحظة،

فل نعيشها بدون شيء،

فقط بالحب،

بالعناق،

بالخبز،

بالماء،

بالكلام المعسول الذي يُعجب الجميع،

كالشعر والموسيقى،

كالتراتيل الدينية،

فل نعيش فقط،

ببساطة،

"الكفن دفء الوطن"

باعني الوطن،

للذئاب.. تنهش لحمي،

للكلاب.. تعض عضمي،

للطيور الجارحة تنقب على رأسي،

ومن عقلي،

لديدان تلتهم أحشائي وقلبي،

الوطن ليس له ثمن،

المواطن أرخص من أن يكون له ثمن،

أنا لا أكتب هذا من فراغ،

أصحابُ السلطة هم أصحابُ الوطن،

أما أنت وأنا،

الحالمون،

لا نملك شيئاً في هذا الوطن،

لا نمتلك حتى أين نُدفن،

حتى قطعة قُماش،

قطعة كَفَن،

فل نتركه ونرحل،

إلى البعيد،

مكان لنا فيه من كل شيء نصيب،

من الكرامة والحقوق،

من الأمن والأمان،

من الاستقرار والآمال،

****

يا أبناء الوطن،

أقصد حماة الوطن،

إن الوطن في ديواني اسم،

فيه من كل المعاني إلا معنى الوطن،

معاناة،

الوطنية،

أنا حر.. أنا مواطن،

على الحرية أنا مناضل،

أُطالب بالحقوق،

بذرّة حياة.. ذرّة كرامة،

لم نجد سوى القمع،

سوى السرقة والنهب،

سوى الظلم والقتل،

إذا سرقت رغيف خبز لتعيش يوم،

تسمى سارق.. وتُسجن،

أياماً أو سنوات،

أما اللصوص الكبار،

قمعوا الثورات،

اقتسموا الثروات،

ثم ظهروا على المنابر وفي القنوات،

من سيعاقبهم.. ويحاسبهم على هذه الفِعلة،

القانون يحميهم،

ونحنُ إلى المَمات،

"الغرفة الكونية المظلمة"

مرحباً! قلت:

يا صاحبي!

قال: أهلاً بك في عالم المَغيب والمَشيب،

منذ متى وأنا هنا؟

منذ الخلق وبداية الوجود،

ولماذا أنا هنا؟ وبضبط في هذه الغرفة الكونية المظلمة؟

هَهْ.. لأنك بشرٌ يا صاحبي،

لأنك من طينٍ وحجر،

قلتُ: إذاً لما أنا لستُ قاسياً كالحجر،

ليقول: بلى! أنت قاسٍ كالفولاذ.. ولكن على نفسك فقط،

طبيعة الإنسان غريبة كصعود الندى إلى سطح القمر،

وما القمر؟

كوكب كروي ساطعٌ بالنور،

لامعٌ يعكس النار،

كأنه أنثى من الزمن الجميل،

يشبه عيون الذئاب في الظلام.. لكن ليس له عويل،

يا صاحبي!

عجيبة هذه الدنيا لديكم،

ماذا تأكلون؟ ثمار أم أغصان شَجَر؟

هَهْ.. نأكل لحم الطير.. ولحم بعضنا البعض مراتٍ،

منّا من يأكل لحم أخيه حيًّا.. ومنا من يأكل أموال أبناء أخيه الميت،

كم هي غريبة دُنياكم يا صاحبي،

الفقراء يزدادون فقراً.. والأغنياء يستضعفون الفقراء،

غريبة يا صاحبي،

هل سمعت يوماً بشيء اسمه العدالَة،

نعم! دائماً ما تُذكر هذه الكلمة أمامي،

في التلفاز والجرائد والمؤتمرات،

إنّها ميتافيزيقية خالية من المعنى،

خيالية من عالم آخر.. كأنك تقول حرية وكرامة،

قَديمةٌ قِدَمَ الحضارات،

تُردِّدها السبايا،

تسمم الخلايا،

خُلِقَت نهايتها قبل البداية،

"الكينونة المُنعدِمة "

إحدى أحلامي أن أغادر،

هذه المدينة،

كم هي جميلة البدايات،

بعد إنجابي بيوم،

وبعد عامٍ كامل،

قلتُ أول كلمة،

وهنا اكتشفت لهجتي،

لغتي،

وفقدت بهجتي.. و ضحكتي،

حقوقي.. وثروتي،

فقدتُ حقِّي في كل شيء،

كل مايجعل مني إنساناً فقدته،

عدت كالحيوان،

أو أقل درجة،

كذئب أو كنعجة،

بحث هنا وهناك عن بعض الفُتات،

لكي أعِيش وأقتات،

لأُحافِظ على وُجودي،

لا شيء تغير،

متنا.. متنا.. من يتكلف بمراسم الدفن والعزاء،

هذه حياتنا،

عبيد للمادة،

نعمل لِنَلتهِم.. فتُلتَهَم عُروقنا،

ويُشربُ عَرقُنا،

ليصبح الفُتات نصيبنا،

رغم الجد وكثرة العمل،

ويصبح الموت مصيرنا،

نرتحل وراء من رحل،

"مدينة القصدير"

في فصل الخريف،

عندما تتساقط أوراق الأشجار،

تملأ أوراق الدِّفتر،

تظهر سحابة.. فتحملني،

إلى أبعد ما يمكن أن تصل إليه أعين البشر،

أبعد من السماء،

بعد ذلك النجم،

أنا أراه،

إنه هو،

إنه أنا،

أرمي البريق والغبار،

على الأطفال،

الموتى الأحياء سائرون في الشوارع،

يعجبني أن أفعل ذلك،

يبدون كالملائكة،

لكن موتى،

أجسادهم هالكة،

يمشون حفاة،

على أرض شائكة،

نور يلمع من أعينهم المُنطَفِئَة،

يظهر في الليالي الحالكة،

يشبه السحر،

يثير العقل،

كنور القمر في أخير الشهر،

في أواخر الليل،

قُبيل الفجر،

عند احمرارهِ،

تَحمَرُّ أعينُ الأطفال أيضاً،

تشبه عيون الثور الهائج،

ثور إسباني،

يخرجُ العاقل والساذج،

إما أن يسقط ما تبقى من أوراق الأشجار،

أو تسقط الأعمَار،

تترك الجسد.. هو القفص،

تطير الروح زكية،

لتصل عند النجم،

بجانب القمر،

دون أن تُحرق الأجنحة بلهيب الشمس،

لأنه الليل،

غطاء الفقراء،

غطاء من لا غطاء له،

راحة للمتعب،

وقت المتعة،

****

في المدينة،

ألواح القصدير،

مباني زجاجية،

سهلة التكسير،

لا ضوء.. لا نور،

مدينة الفولاذ،

جزيرة الملاذ،

ركن الخراب،

تتوسط الخلاء،

يحكمها الغباء،

لا حرية لأهلها،

غير النظر إلى السماء،

****

لأخذ الحق من الحكّام،

مدينة الثوار،

على الأرصفة،

الكل يعاني،

أسمع أنين.. نواح،

بكاءٌ ليلَ صباح،

بين المباني،

****

مات الطفل،

مات مستقبل الوطن،

الحرية باهظة الثمن،

غالية على الانذال،

الحرية،

لا ينتَزِعُها سوى الرجال،

"قبرٌ اسمنتي"

على جدران مهترئة رسوم ساخرة،

وعلى الأرصفة أزهار دَبِلة،

المرّة يمشون مهرولين،

والضرب منهمرٌ على أبواب الحافلة،

صراخٌ وهدير يتردد بين المباني،

هكذا حال أهل المدينة،

ضجيج.. بشر كالآلات،

مساحات خضراء هزيلة،

لا ماءٌ عذب.. لا ضوءَ الشمس.. ولا نورَ القمر،

نجوم.. واحد اثنان.. انتهى العدُّ عند حافة البناية،

المدينة.. مقبرة الأحياء،

كل شيء مصنوع.. لا شيء حقيقي،

كل الأحياء موتى،

غي غرفٍ بُنيت بحساب الشبر،

أبعَادُ القبر،

لأنها فعلاً كذلك،

أعود إلى الأبواب المتجاورة والشبابيك،

عشرات الجيران في مبنى واحد،

لا يعرفون بعضهم.. ولا أنت تعرفهم،

لا يُسَلِّم بعضكم على بعض،

أعداء ولستم بأعداء،

آلات في الأداء،

كم أكره هذه الحياة،

كم أكره أجواء المدينة،

وكم أكره نتانة النفايات وعلو البنايات،

لا رائحة طيبة ولا مناظر خلاّبة،

لا سماء صافية ولا غيم أو ضبابة،

هواء ملوث،

لا شيء حقيقي،

لا شيء يفتح الشهية،

سوى مكتباتٍ تُشبِه جنة ورقية،

يصبني التعرق عندما أرى أُناساً يأكلون بالشوكة،

يسكنون الجحور،

يظنون أنفسهم مخلوقاتٍ الراقية،

غريب.. عجيب،

لم أعد أستطيع البقاء في هذه الحفرة الفولاذية،

الناس يتركون الجنة في الأرياف ويهاجرون لجحيم المدينة الاسمنتية،

"السّيدة والطفل"

مررت بأحد الأحياء،

وجدت ملكة النساء،

مرتدية حجابها،

تجول في الأزقة،

مع ابنها،

طفل صغير،

على وجهِهِ التعب،

نديت يا خالة!

ما الأمر؟

أليس في وطننا حق؟

في المدينة قانون وعدل،

يحميكِ والصغير،

يوفر لكما الشيئ الكثير،

قالت متنهدة:

الأبواب موصده،

مات زوجي،

تركني أرملة،

أخذوا ما ترك،

أهل المدينة تركوني محطمة،

فقيرة.. لا أملك شيء،

سوى الكرامة،

والصغير،

ننام في البرد،

نفترش البلاط،

لا نمتلك سرير،

وعلى الجوع،

لا من بصير ولا من نظير،

ما عدت أساوي شيء،

الجميع يريد ما تحت الحرير،

والفجور أخشاه وربي،

أريد حلالاً وأن أعيش،

قليلاً وليس بالكثير،

"المهزلة"

كل هذه المهزلة من الإنسان،

وإلى الإنسان.. وعلى الإنسان،

ليعيش الإنسان الغني،

ويموت الإنسان الفقير،

يزول ويَفنـَى،

يموت ويُنسى،

بعدما كان منسياً من قبل،

يربطنا حبل.. مادي،

ويقطعه مقص.. حديدي،

أسود سوداوي،

كثعبان ملتوي،

ينفث السم،

يلسع ويضم،

يأكل صوصاً من الخم،

وأكثر من ذلك،

****

غرقنا في بحر من التفاهة،

الخمر والسيف.. لايكات ولايف،

في زمن التفاهات والسخافات،

يتعرّض لتّكْفِير،

صاحِب الثقافات،

وذو التّفكير،

****

غرقنا وانقطع حبل النجاة،

مات الحيوانُ،

تجرّعنا سم النبات،

يا ليل لما أدعوك فتحضر معاك أقدام الأصوات؟

أنذر الأدوات،

سيفٌ ولواء،

سمٌ ودواء،

معبداً وصلواتي،

انقطعت يداي.. فرفعت عيناي.. للسماءِ،

لم أرى غير مماتي،

أنا الذي.. بكى القلم حبراً على بُؤسِ حياتي،

أنا الذي.. شكلت روحي عبئاً لَمْ تَقبل أياتي،

****

أكتب ولا أعلم ماذا أكتب يا ترى؟

كتبت على الروح وعلى الجسد،

على اللّحدِ وعلى الكفن،

على النّقاءِ وعلى العَفَن،

على الفِراق،

على أبناء الوطن،

على الموتى.. في صِراعٍ مع الزمن،

أبناء الوطن،

الروح فينا والجسد والألم،

والقلب والندم،

والورق والقلم،

والعقلُ إذا ما فَهِم ارتَطم،

يا أبناء الوطن،

إلى متى..؟

إلى متى هذا العذاب؟

هذا الظلم.. وهذا العَداء؟

القلب صلب،

نحن الفِداءُ،

نموت في سبيل رغيف خبز،

كسرة خبز،

نموت ولا أحد يهتم،

في سبيل أن نعيش ليلة في السنة،

نضطر أن نموت كل العام،

كل الأيام،

نحن في المحن،

وهم في المال،

في الدرهم.. والدولار.. واليان،

في كل لحظة نحاول النهوض،

نعود إلى نفس الدرجة والمكان،

نعود بلا شيء.. ولا شيء،

عَدمٌ في عَدم،

أخذوا ما هو جميل،

أخذوا الماء والهواء،

أخذوا البترول.. وأعطونا بِرميل،

أخذوا الظل.. وأعطونا الشمس على أساس أنها نور،

حارقة.. هذه النور،

عاصفة.. هذه الرياح،

نريد حُقولنا وحقوقنا من كل شيء،

نريدها حتى النخاع،

****

رأيت روحاً تصعد في السماء،

تسألت: ما ذاك؟ من هناك؟

إنها روحٌ.. شهيدة،

من أرضنا المقدسة.. البعيدة،

بين النهرين.. قرب مصر،

أرض العتاد والجيوش،

أرض الفداء والخلود،

أرض الأنبياء والجنود،

أرض هارون وموسى ويوسفَ،

أرض اخواننا.. أرضنا،

لأننا نتشارك الدين والسياسة العبوسة،

نحن أحرار،

غير أن حريتنا ليست ملموسة،

رجال الدولة ماذا يعبدون؟

عقائدهم،

هل يقدسون المال أم الغرب؟

كِلاهما شيطان؟

لا يهمني شيء،

تهمني الشعوب.. الناس مثلي،

ولا أهتم بشيء،

أحب أن أتكلم لغة العتاب،

أحب فحص الإنسان كأنه كتاب،

أحب الحق ومن أحبه يُغتال،

هل سيبقى نفس الحال؟

أين الرجال؟

فراعنة الأهرامات وبَرَابِرَةُ الجبال،

رأيتهم ولكن،

ولكن.. ليس كل ما يُرى يُقال،

****

على صوت قنابل تنهمر من السماء كالمطر،

استيقظ طفل،

كان لابُدّ من معرفة ما يحدث،

هل هذا زلزال أمِ احتراق البنزين في حقل،

لتسقط قذيفة ثقيلة سريعة على جزء من المنزل،

في رمشة عين أصبحتِ البناياتُ ركام،

تطايرت الشظايا والغبار أعمى المكان،

سرب من الطائرات الحربية كان يحلق،

هدير وأصوات مدوية،

كـ فيلم حرب واقِعي،

دماء وأشلاء تتطاير،

دماء..؟ أشلاء..؟

وقعت مجزرة،

دخل الجنود المدينة وبدأوا يمشون على الركام،

على جثث الأطفال وطوب الحيطان،

يقتلون الأحياء الأموات،

يغتصبون النساء،

كل من كان في طريقهم من الضعفاء،

ومن يفعل هذا غير أشباه الرجال،

ليلة سوداء ليست بظلامها،

بل بظلمها،

أزيد من عشرة ألآف من الشهداء،

أغلبيتهم أطفال ونساء،

وقف القواد الكبار على بعد أمتار من طفل يستشهد،

ساقه مبتورة ودماءُهُ تفيض،

قال أحد القادة خائفاً:

عجّلوا بموته،

لينهمر الرصاص على الطفل،

جبناء هؤلاء المحتالين،

يخيفهم طفل،

وكيف لا.. والطفل أشجع من كتائبهم كُلّها،

والنساء أشرف منهم جميعآ،

****

ليس مهماً أن تفهم ما دمت تشعر،

صدقاً،

ما دمت صادقاً.. ما دمت تَشكر،

المهم أن تحس بالناس من حولك،

من داخلك.. ومن صميم قلبك،

أنا لا أكتب شعراً،

ولست متخصصاً في كتابته،

أنا فقط أكتب،

كل ما يعجز لساني عن نطقه في حضرتي وغيابي،

أكتب،

لعله يعجب شخصاً.. إنساناً.. فيتعلق بي،

بشِعري،

في لحظة أفكر،

و أرغب،

أريد أن أجمع العالم في غرفة،

لنحكي،

لنحس ببعضنا البعض،

مللت الوحدة،

مللت الحروب والدماء والبكاء،

مللت سماع صراخ الناس تستنجد،

كأنها تصرخ في داخلي،

فل نتوقف للحظة،

لثانية،

لننظر خلفنا وندرك كمية الدمار والخراب التي تسببنا بها،

لنرى الأطفال الأبرياء الميتين،

لنرى النساء والرجال الضعفاء المُشرَّدين،

لنرى الكبار المسنين،

لنرى كم نحن سيئين،

نهدم لا نبني،

توقفوا..!

لنشعر ببعضنا البعض،

نحتاج برهة من الراحة،

لنستمع لقلوبنا،

سنموت.. ونُدفن،

سنفنى وتفنى من بعدنا،

لماذا هذا الحقد؟

لماذا هذه الحروب المدمرة؟

لماذا نتقاتل؟

ألسنا كلنا من أدام؟

ألسنا كلنا من هذه التربة الملوثة؟

نحن لوثنها بأيدينا،

لذا توقفوا..!

كفى..

كفاية من هذه المهزلة،

"ليلة طـويلة"

ليلة طـويــلة،

ليلة ممتدة إلى عشرين سنة،

لا حارة ولا باردة،

قضيتها ساهراً،

لا عن حب.. بل عن أرق،

عن نومٍ فرّ وانزلق،

دماغي تَآكَلَ بالتفكير،

عن مستقبل هل سيصير؟

هل سأكون فيه؟

هل أستطيع؟

في كل استفهام حكاية،

كل بداية نهاية،

مددت جسدي على الفراش،

تحت الغطاء،

وسط فرو النعاج،

شعرت بالحار فأزلته،

شعرت بالبرد فرددته،

فوق قدامي،

إنها الوَحْدَة،

أو الوَاحِدَة،

لا يهم ما دمت وحِيداً،

لا وطناً يأويني،

لا موكباً يأخذني،

إلى أرض الرّاحة،

أرضٌ أنسى فيها ما حصل،

من جوع وخوف.. من دمعٍ هطل،

أريد حضناً في الليالي الباردة،

وفي الليالي الحارة أريد قُبلة،

حياة أكون فيها سعيداً،

صاحب الشارعِ ولَستُ من المارة،

أريد حُضناً،

وحِصناً،

في مملكتي،

وأنتِ ملكتي بتاجها وقلبي عليه جواهر،

وعيناي ثملتين في ثانيتين،

من خمر لحظها،

شَفَتَاها حمراءُ كالنبيذ،

تُسكر،

لو كانت في واقعي ما سهرت بأرق،

لسهرت بالحب وعِناق،

هي في خيالي موجودة،

لا أتذكرها غير مرة في لحظة،

لا أتذكرها لأنها في أعماقي.. حتى النخاع،

مثل شوكة تخزني،

أشعر بها مثل قطرة مطر على جبيني،

في صحراء قاحلة،

ثمنها باهض،

هي سراب.. خيالٌ ووَهم،

عنيت بسببها ليالي وليال،

كالأرق.. أخذت نومي وراحتي.. قلبي وحياتي،

عندما أردت أخذها وجدتها لا شيء،

عدم وسراب،

نبيذ أحمر.. جارية.. سيف وشعر حر،

في زمن التفعيلات والقوافي،

الزمن الحافي،

"غرباء في وطنهم"

هل علي دائماً أن أبدأ بالسؤال؟

بتساؤل؟

عن الوطن؟

عن أبناء الوطن؟

عن أخبار الوطن؟

عمن رحل وارتَحل؟

إلى الغربة،

حيث أصبحنا نحنُ الغرباءُ،

في بيوتنا وأوطننا،

لم نعد نشعر بالأمان،

لم نعد نعرف ما العمل؟

سنهاجر؟

من أرض لأخرى،

من غربة لأخرى،

سنترك الوطن،

سنترك كل شيء،

ونذهب بدون شيء،

نحو كل شيء،

غير أننا لن نشعر بالانتماء،

سنتذكر.. ونُحِنُّ.. لنفس المكان،

لنفس الوطن،

الذي رمانا على شواطئ الرمال،

جعلنا نتجرّع ملوحة البحار،

في سبيل مستقبلنا،

تركنا كل شيء وراءنا،

حتى من أرواحنا،

ركبنا لوحاً خشبي يتدلى من هنا إلى هناك،

يتلاطم بين الأمواج،

ونحنُ بين الأمواجِ نتلاطم،

نتحطم،

نصل أو نموت،

في سبيل تحقيق أهدافنا والوصول إلى وجهتنا،

أرض كالجنة،

لن ننظر للخلف،

لأن الخوف للضعفاء ونحن لسنا كذلك،

فقدت شغفي في الحياة،

"البُكاء لغة"

البكاء لغة.. صوت وصمت،

البكاء إحساس،

البكاء يُشعرك بتحسن،

البكاء يجعل منك إنسان،

عندما أشعر بثقل الحياة.. أبكي،

وعندما يوجعني شيء في قلبي،

أنهمر بكاءً وأُكلم وحدتي،

سمعت كلاماً جارحاً من أحبتي،

حطمني وسكن ذاكرتي،

أبكني،

منذ مدة وأنا أعاني،

نواح البكاء وقطرت الدمع أغاني،

لم ألتقِ شخصاً يفهمني،

لم أُلقي الابتسامة على ألحانِ،

أعطيت للدمع معاني،

رفعت لساني.. حزمت حزامي.. ركبت حصاني.. وانطلقت للبعيد،

لأرضٍ ليست بأرضِ.. لكنها أعادَت لي أمالي،

حققت لي أماني،

وأناستني ألَمِ،

البكاء لغة.. صوت وصمت،

البكاء إحساس يجعل منك إنسان،

يجعلك تنسى وتتذكر،

يمتزج الدمع بالضحك فتتعطر،

لأننا اذا أحسسنا بحزن نبكي،

واذا فرحنا نبكي،

البكاء لغة وشعور،

يكلم الماضي والحاضر.. ويستشرف المستقبل،

يطل على البحر ويتسلق الجبال،

يصطاد الفراشات ويزرع الديدان،

يُطعم العصافير ويطلي الحيطان،

في كل مكان وزمان،

الدمعُ حبري.. وخداي ورق.. وبؤبؤ عيناي مِحبرة،

في كل مكان وزمان،

البكاء لغتنا.. صمتنا وصوتنا،

ما نعجز عن البوح به يقوله الدمع،

يفضحنا،

يفشي أسرارنا،

يُفَجِّرُ ما في قلوبِنا من تعب الحياة.. ويخرجه،

البكاء ليس عيباً،

العيب أن تكون مُتَصَنِّع،

البكاء للأقوى.. الضعفاء لا يبكون،

يا صاحبي! إذ كان في قلبك شيء لا تستطيع البوح به.. فبكي،

وإذا رأيت شيئاً لمس قلبك.. ابكي،

الدمع لا يخرج إلا اذا كان القلب قلباً،

الدمع لا يخرج من صخرة.. لكن الماء يفعل،

كذلك الهم والغم،

ابكي لترتاح،

أخرج دمارك ماءً مالح،

أخرج كل ما يؤذيك.. كافح،

كن إنساناً،

فالإنسان كائن حسّاس يبكي -وحيداً وفي حضرة الناس- لا مانع،

البكاء لغة الأقوياء والضعفاء،

البكاء لغتي فاسداً أو صالح،

"ثَابِتٌ ومُمِل"

كل شيء ممل،

الحياة مملة،

أستطيع تذوق الملل في حياتي.. بلساني وفي ذكرياتي،

أجلس مِن الصباح حتّى المساء.. وبعضاً من الليل،

أجلس وحيداً أنبش في ذاكرتي،

هل من ذكريات جميلة تستحق التذكر؟

هل من أيام حلوة مضت؟

لأجد أن كل الماضي.. جلّه جميل،

يستحق أن يُعاش لمرّات،

ثانية وثالثة.. إلى مالا نهاية،

لم يكن هناك مَللٌ في الماضي،

لم يكن هناك ألم يُشعَرُ بِه،

ولم تكن هناك معاناة،

لم يكن هناك شيء سوى الحاضر،

ولم يكن هناك شيءٌ سيء سوى ما بَعده،

أخشى.. أخشى المستقبل أيضاً،

فلم تعد لدي القدرة على الوصول إليه.. ولا على العيش فيه،

خَارَت قِوايْ،

ملامحي خائفة،

لا أستطيع الوقوف.. ولا الجلوس،

لا أستطيع أن النّوم ولا الاستِيقاظ،

أستطيع الكلام،

أستطيع الاستمتاع بالملل،

أن أشاهد أيامي كظِل طفل في حائط تَكبُر،

أن أشاهد الابتسامة في وجوه أطفال يستمتعون بلعق الآيسكريم،

استمتعوا،

استمتعوا فبعد الخامسة عشر تسوء الأحوال،

يَومَ يموت الخيال،

ينطفئ الإنسان.. ويحمل من الهم جِبَال،

انتظرت بفارغ الصبر أياماً تأتي وتحملني،

كما يحمل النسيمُ ريشة طائر الحمام،

لتعدني لزمان الأحلام،

لأحطم الملل كما حطّام إبراهيمُ الأصنام،

لم يأتي شيء،

لا زلت أنتظر.. ولا زالت الناسُ ساجدة للأصنام،

****

أيها الطفل! يا صغيري!

دلّني على طريق البستان،

لأقطف زهرة الاقحوان،

لأتذكر مزيداً من الذكريات المُدَمِّرة،

لأحياَ موتاً.. وأموت ثانية في بحر النسيان،

أن أتَلاشى كخَيطِ دُخّان،

فَيَا طفلُ دلني على طريق البستان،

فالملل قتلني في البيت،

وفي المقهى،

وفي كل المجالس التي وَلَفتُها،

والناس لا تفهمني.. وأنا لا أفهمها،

لذلك أنا وحيد،

أكره الملل.. والملل إِلَيَّ يسعى،

"ثورة على عروش الزيتون"

على شجر الزيتون،

تظهر من بعيد كومة رصاص،

على بريق الأمل،

ثورة شبان،

عرب وأمازيـغ،

يُنَاسبني ما يفعلون،

أمسكت بقوس من نور أحمر،

ثم وضعت يدي الثانية على حجر،

وأطلقت صرخة،

يمكن سماعها من أَبْعَدِ الأوطان،

نديت يا إلهي،

أنت تراني.. وأنا أرى الظلام،

من بعده نور،

والثورة مسلكنا،

وطريقنا،

كانت تلك الكلمات الذهبية،

قادرة على سحب الخوفِ من الخوف من الخوف،

رغبة في نفوس الشبان،

رغبة في الانتقام،

من وَهمِ الظّلامِ،

"الموت نهاية البداية"

هل الموت بداية أم نهاية؟

هل الحياة حكاية؟

لم أكن فيها متواجداً،

لِمَ أعيشها؟

لأموت أصلاً،

لا أدري لماذا؟

الروح كانت في جسدي،

كانت تُشوى،

لم أجد حباً يرويني،

يطفئ ناراً مشتعلة في داخلي،

لذلك اخترت السباحة في أَنْهُرِ الظلام،

بحر التّمَرُّدِ والعصيَان،

اخترت أن أكون شيئاً مختلفاً،

كاختلاط الماء بالزّيت،

كأفعى تَجمَعُ رحيق الأزهار،

تَنفُثُ عسلاً،

كل هذا غريب،

كأنه أنا،

عشت غريباً،

لأموت غريباً،

هل الموت بوابة لعالم آخر؟

عالم من الغربة،

"الشعب المنسي"

حُكم عَلَيَّ بالعذابِ الأبدي،

مثل سيزيف أحمل أحلامي فتسقط،

من أعلى جبال الأطلس،

لأسفل الوديان،

لقاع جهنم الدُّنياوِيَّة،

الشعب المنسي،

كمقبرة بعد منتصف الليل،

لا يزورها سوى الأشباح،

أو ساحرة لزوجها،

تبحث عن قطع العظام وسط الركام،

عن أسنان رضيع مات في الشتاء الماضي،

مات برداً وقهراً،

الشعب المنسي،

شعب الأطلس،

المأوى حجارة وطوب،

واللباس جلدٌ وصوف،

أمازيـغ،

النقل دواب،

والماء مطر،

والإضاءة نار،

يجمعون الحطب والقُوتَ صيفاً،

مثل النمل،

يملؤون أكواخهم بالفُتَات،

يَجوعُونَ ما تبقى من السنة.. قُبيل الحصاد،

أحلامي كأحلامهم،

لأنهم مني وأنا منهم،

الشعب المنسي،

الباب لوح خشب،

الدفءُ قطعة حطب،

يفترشون الحصى،

يفترسون الوحوش،

ما أحلّ منها.. كمعزة و أرنب،

يرسمون النقوش،

لهم الفضل في الاستمرارية،

وقيام الوطن،

هم سبب زوال المُستعمر،

الشعب المنسي،

أعطى كل ما لديه.. ولم يأخذ مقابلاً،

أعطى راحته وماله في سبيل رفع العَلَم،

وللأسف،

حقوقه وحريته أُهدرت،

انْتُزِعَتْ منه مقومات الحياة،

كإنسان بدائي أصبح،

لم يذق طعم الحياة،

ولم يُعترف به أنه إنسان يوماً،

حتى أَتَتهُ الوَفاة،

" من الصباح حتى المساء"

التاسعة صباحاً،

أجلس وحدي في مقهى،

التاسعة والعشرون دقيقة،

لازلت جالساً وحدي،

أصدقائي رحلوا للبعيد،

التهمتهم الغربة،

تتناثر نظراتي،

من هنا إلى هناك أبحث،

عن شخص يفهمني،

عن إنسان يروق لي،

عمن تتسرب له حبالي الصوتية،

وهو مستمع ومُصغي،

أحكي له.. أحكي،

أتكلم حتى اتنهد،

من تعب الكلام،

عن شقاء الحياة،

وهو يبادر بدوره،

يحدثني عن حياته البائسة،

لأشعر أني لست وحيداً.. ووحدي،

****

حَلَّ المساء،

الجو لطيف،

وأنا جالس كعادتي في المقهى،

أشاهد المَرَّة،

يمشون والعُشبُ تحت أقدامهم قد اصفرّ،

أكتاف تتلاقى،

الناس هنا يشبهون الروبوتات،

عصافير قرب حاوية النفايَات،

تنقب الفتات،

وأنا أشاهدها وأشفق على حالي،

فهي قريباً سترحل،

إلى البعيد لبعيد،

وأنا سأبقى جالساً هنا وحدي،

في الجهة الأخرى من الشارع هناك أطفال،

يرشون على بعضهم الماء،

يضحكون،

وأنا أبتسم،

تذكرت أشياء،

ليست مجرد أشياء.. هي ذكرياتي،

حياتي،

"فَتِيلُ الوَرد"

أكتب على ورق من نار،

بحمم بركانية،

أُشعل فتيل الورد،

وقتيل الحب،

ليس لنا نصيب من الحياة،

ولا من الأرض،

نركع للخبز.. ونقدسه،

الفِداءُ للخبز وليس لأحد،

للخبز فقط،

ما أقسى الحياة،

تجعلك تعيش في مكان لا يناسبك،

كشيطان في الجنة،

أو كملاك في جهنم،

المال أساس البلاء،

الجهل أساس الشرور.. والغباء،

تسعى الناس لامتلاك المال،

أي امتلاك قلة راحة البال،

نسعى وتسعى،

السعي فطريٌّ في الإنسان،

والإنسان سعيٌ أيضاً،

"المتعبُ"

أنا متعب،

مريض مصاب بالأرق،

بكثرة التفكير،

كنت بخير.. قبل وقت ليس بطويل،

أضحك.. أبتسم.. أشعر بالسعادة،

يملئ روحي.. الآن.. فراغ هائل،

أشعر كأني كتلة حزن،

كتلة من فراغ،

محبط،

كأنني كل شيء،

ولست بشيء،

سوى إنسان تافه يكتب تفاهات،

يملئ أوراقه بالتراهات،

بالأحاسيس كأنه أنثى،

الحياة متعبة،

جعلتني أبكي بكاءً من نوع آخر،

جعلتني أبكي بكاءً مريراً في قلبي،

بينما عيني فيهما نار،

يبدو كل هذا عجيباً،

لكنه واقعي،

"العذابُ الأبدي"

ظَلام على أرض الفقراء،

أرض الخبز اليابس،

مُليّن بالخمر،

سننزل من هذه الأرض،

والسبب عِنَبْ،

ليست كالمعتاد تفاحة أو جوزة طَيِّبْ،

هذه الدماء الممزوجة بالنبيذ الأحمر،

شراب الأرستوقراطيين البورجوازيينَ،

وكنا نحن.. البلوريتاريا الكادحين،

كانت تلك دِماؤنا،

بعد عاصفة زجاج ومسامير،

بعضنا ترك أطرفه عند النهر،

سحابة ممطرة بالرصاص الحارق،

شتاء حار،

صرخات.. نواح حادٌ كالسكاكين،

صوت أسواط تضرب.. وعصي،

عبيد محروقة أجسادهم العارية،

أقدامهم حافية،

حر الشمس يكسيهم فصلاً.. وصقيع الشتاء فصلاً،

لكل منهم مهمته،

حفر قبر.. عدّ النمل،

أي شيء لينسوا العذاب،

العذاب.. الذي لا يريد نسيانهم،

العذاب.. الذي لازال يلازمهم،

العذاب الأبدي،

"الحنين"

تائه في بحار النوستالجيا،

أحِنُّ للماضي،

لأني عشت فيه أفضل أيامي،

الحاضر بائس،

والمستقبل هل سيكون؟

هل سأكون؟

وإذ كنتُ وكان.. فأخشى مزيداً من البؤس،

لا تقلق.. لن أقلق،

كل شيء عبثي في الكون،

كالوجود.. كالعدم،

افعَل أو لاَ تَفْعَل سَيُصِبُك النّدم،

أن تربح أو تفقد كل غالٍ ونفيس،

تُولَد.. تموت أو تعيش،

الأسوأ أن تنجو وأنت مبتورة أطرافك،

ستكون عالة،

لا أحد يرغب بك،

لا الناس راضية بك.. ولا أنت راضٍ عن نفسك،

لهذا نخشى المستقبل،

نخاف مما يحمله لنا من أسرار،

ونحبُ الماضي لأنه قد مَرْ،

"خيالٌ وَاقِعِيٌّ"

الخيالُ خيالٌ.. والواقع خيالٌ،

ليس هناك من خيارٍ،

في مكاني وفي وطني أشعر أني غريبُ،

ارتشفت الكأس سُمّاً،

وجعلتُ أمعائي تتقطعُ،

سكاكينٌ في قلبي،

ونارٌ في فمي،

والوطن ليس بوطني،

الانتماء أصبح حُلماً من أحلامي،

دفعتُ الثمن غالي،

فديت بدمي،

ومِداد قلمي،

لأجل أرضٍ لم أحصل فيها على أَرخص الحروفِ،

أرضُ ظلم وطغيان واستبدادِ،

أرض السيوفِ والرّماحِ،

أرضِ،

أموت فيها.. موتي راحة لي ولنوّاحِ،

راحةٌ لي،

وراحةٌ لقلمي ــ سلاحِ،

****

فوق طاولة فضية أضع قهوتي،

أنتظر هيكلاً من الأمل،

لأضع فيه روحي المتعبة،

من الألم،

من الملل،

من الدنيا الدانئة ومن العِلَل،

أخذت رشفة ذات مَرّة،

كانت مُرّة،

طعمها كطعمِ حياتي،

هل خلق الإنسان ليشقى؟

طبعاً لا!

بل الشقاءُ خُلق للإنسان،

"الإنجاب أزمة الوجود"

منذ ولادتي،

إلى الآن،

كنت ولازلت في أزمة وجودية،

كنتُ ولازلتُ،

أنتظر،

ما الغايةُ من وُجودِ الوجود؟

متى تنتهي هذه الكينونة؟

مؤلمة والزّمانُ طال،

تعبت وأنا أنتظر،

ذاك الهيكل الحي الجديد،

فهذا الذي ألبسه مهترئ،

ثقيل،

أنا المتعبُ.. يصعبُ عليّا تحمله،

يا إلهي أريد أن أنتهي،

أو اتجدّد،

كلعبة في جهاز لوحي.. أو في كمبيوتر،

أخسر معاناتي،

معاناة ركضٍ.. عَياءٍ.. وموت،

خسرت كل ما يمكن خسارته،

خسرت خساراتي،

في حياة بائسة كهذه.. يصعب العيش،

ازدَدَت حساراتي،

خسرت أثمن الأشياءِ،

في ثوان معدودة،

عشريني.. أصبحت تِسعيني،

صغير والشيب في دماغي يسكنني،

ستبحث لتجد الألم،

تركت الراحة في العدم،

أُحضرت لهذا العالم القاسي،

حيثُ الجميع يعاني،

"الأرض باللون الأسود"

صحراء صفراء،

سماء زرقاء،

أرض جذباء،

حياة سوداء،

شوارع حمراء،

بالدماء،

ناسٌ يحكمها الغباء،

غبار يملءُ الهواء،

نِقاشاتٌ.. هُراء،

كيف تنبت الأزهار،

كيف تزهر الأشجار،

بلا دفءِ الشمس،

بلا حزن السحاب وبكائهِ الأمطار،

غريبة الحياة،

سعيدة ومحزنة،

بيضاء وسوداء كأصابع البيانو،

تعزف سَمفُنِيَّة غير ممكنة،

صعبة،

كالعيش في افريقيا اللعينة،

قارة الثروات.. أفكارها عقيمة،

يحكمها الشر،

يَنهَبُها غير البشر،

سياسيون ذئاب،

****

الذهب في أرضي،

والأرض انتزعت مني،

غصباً عني،

كيف لنا أن نتساوى،

أن نكون في نفس الدّرجة،

لنا الأرض تُراباً،

ولكم مَعادِنُها،

لنا الأشجار،

ولكم ثِمارُها،

غباء مِنّا أن ندافع عنكم،

وأنتم تقتلون أبناءنا،

وتنهبون أوطننا،

فتباً لكم ولنا،

****

ليست الحقيقة كما رأيتها أول مرة،

كانت وهم،

مثل باقي الأوهام،

كالحياة التي أُريدها،

برداً وسلامْ،

كنور يظهر في آخر النفق،

وأنا في الظلام،

وأنا أسعى جاهداً للوصول إليه،

للخلاص،

لتحقيق الحرية والتغيير،

للتعبير عن ما في داخلي،

من آلام،

ليس بالكتابة.. أَيضاً بالكلام،

"الأرض بحجم العناء"

ما أوسع هذه الأرض،

بعرض السماء،

بطول العناء،

وراحة العناق،

الأرض أرضي،

وأنا أتشقق على متنها،

أتفتت،

أسيل كالماء،

أتناثر كالرماد،

في هذه الأرض،

وعلى هذه الأرض،

جثث تمشي،

وأخرى تبكي،

واقف على الشرفة،

أنظر للحطام،

أنظر للبشرية وهي أكوام،

تدهس بعضها بعضاً،

ماذا أصابها؟

الضوضاءُ تملأ المكان،

داخل ذهني،

هناك أمواج هائجة،

عواصف هائلة،

أصوات رعد،

برق،

في صورةٍ مخيفة،

تجعل القشعريرة تسري في جسدي،

****

عندما أكون وحيداً في مقهى،

كأني في منفى،

داخل وطني،

أشعر بالغربة،

أتعلمون لماذا؟

لأني لهذا المكان لا أنتمي،

الوطن،

أحببته.. أحببته كحبيبةٍ أحبت وغداً،

ليلة وانتهى كل شيء،

"دماءٌ على الألواح"

الليل أسود الوشاح،

الليل أحدّ من الرماح،

ماذا علي أن أفعل؟

من همومي أرتاح،

من النفوس نوّاح،

من الأرواح،

دماء على الألواح،

الظلام يُعِقوني

في وقتي يسرقني،

ماذا علي أن أفعل؟

في هذا الليل،

أنتظر الصباح،

الحرام مباح،

الحق ذهب والرياح،

لماذا اشتكى،

قلبي ينبض،

أيها الناي! متى نلتقي؟

متى نقبض؟

حفنة تراب،

من فلسطين،

أرض العرب،

أرض الأمازيـغ،

أرضُ الأكراد،

المسلمين،

ماذا علي أن أفعل؟

بدون صراخ،

أزهار رُمّانٍ وتفاح،

سرقونا... ناهبونا،

في أرضنا،

أين أنتم؟

الغرب سفّاح،

أملنا فينا،

أملنا بالله،

أملكم أين؟

أملكم راح،

لا! ولكن قريباً،

في القريب،

سوف نُحلق،

سنتحرر،

من قيد الظلم،

نتسلل.. إلى السماء،

نطير.. عكس الهواء،

نسبح.. عكس الماء،

في الطبيعة.. أصلنا نواة،

فلسطين.. أنت الدواء،

أنت.. عكس الداء،

شفاء.. من كل شقاء،

"اختَرتُ المشقةَ واختَرَني التعب "

حاولت أن أطير،

أجنحتي مكسّرة،

وحيداً أمشي،

وحيداً أشُقُّ بمشقةٍ طريقي الملتوية،

تركت ريشِ في الماضي،

اختَرتُ المشقةَ واختَرَني التعب،

سهامُ الحقد تهاجمني،

من قريبٍ وبعيد،

ليس الأمر بالسهل،

حتى تَنَفُّسَ الهواءِ أصبح صعباً،

كشرب سيجارة لأول مرة،

من قال أنني سأسقط،

من السماء وأهبط،

بدون أجنحة ولا ريش،

هل أهزم الرياح والسحاب؟

ماذا عن الأرض؟

أثقب السحاب بأصبعي،

أمرُّ من وسطه كأنه نفق،

يقود إلى فراغٍ كبير،

سيء ما أشعر به،

يخنقني ويخانقني،

فقط فراغ هائل،

فراغ يجعل الشخص يفكر في أشياء سيئة،

كالموت،

كالخلاص،

"أمشي غريباً في أرضي"

في زقاق الحي أمشي،

وفي شوارع المدينة أمشي،

وفي عقلي أمشي،

والدمع في عيناي،

كحبيب مشتاق،

وأنا غريبٌ في أرضي،

أختنق،

أتمزّق،

أرفع وجهي للسماء..

لتسقط قطرات المطر وتبلل خدّاي،

لتمحو أثر الدمع،

رغم أن العيون تفضح،

أمسكت بيدي،

باردة ومرتعشة كما والفتها،

قلت لنفسي،

يا غريبة أنتِ،

أنا الغريبُ،

أنا الغريبُ في أرضٍ حسبتها أرضِ،

كما الروح في جسدي،

متعبة.. وغريبة.. منسية.. من الرّاحة مَقصيّة،

كغريب أنا،

غدرت أهلي وأرضي بعدما تركتها محتلّة،

تدفئت في أحضانِ الليالي الباردة،

واحتميت من المطر تحت أغصان الزيتون المبتلّة،

أيا وطني،

لِمَ.. لم أنا فيكَ وغريب،

لِما الغربة تلازمني،

لِما تعيشُ في داخلي،

ساكنة في روحي،

مستعمرة ما بين أضلعي،

تأكلني من الدّاخل،

تجعلني أتأكل،

غريب؟

في أرضِ غريب،

في وطني غريب،

وفي روحي غريب،

عشت غريباً.. هل سأموت غريباً؟

"مَـــرضى"

مريض لست كباقي المرضى،

حمى في عقلي،

قيء من قلمي،

حِبري،

ما سبب مرضي؟

لا أدري!

مرض نادر،

لست كغيري،

أشعر بالغيرة من نفسي،

عندما أضحك أو أبكي،

أبتسم.. والألم في داخلي،

كأنني منافق،

إنني سوداوي،

إن ضحكت وابتسمت فذلك ليس من قلبي،

أليس هذا بمرض؟

أنا لا أشعر بطعم الحياة،

أنا ميت في داخلي،

جزء مني مات،

قطعتي اليسرى،

شيء يخصني ينقصني،

شيء ما فيا مفقود،

شيء لا أستطيع العيش بدونه،

****

من رحم المعاناة وُلدت،

ولازالت المعاناة تلازمني،

كأنها جزء مني،

وقد وَلفتها،

لم ولن أستطيع العيش بدونها،

فهي الجزء الأكبر مني،

الجزء المسيطر،

جعلتني رجلاً،

شامخاً،

وشيخاً،

في وقتٍ أصبحت الرجولة مجرّدة من كل معنى،

أيتها المعاناة،

رغم كل ما فعلته بي.. أنا أحبك،

إلى أخر نبض،

إلى أخر نفس،

إلى أخيرِ معاناةٍ وأنتهي،

****

فلتكن إنساناً.. أيها الإنسان،

لم أولد حُباً في الحياة،

ولم أرغب بها،

لا أدري كيف أنا هنا،

لكنني موجود،

المعاناة والألم يثبتان وجودي،

بلا شك أننا جميعاً في أرضٍ واحدة،

لكننا مختلفون،

الوقت يريدنا كذلك،

ليس الوجودي كالعدمي كالعبثي،

وليس الأبيض أسوداً.. كما العكس،

وليستِ الأنثى كالذكر،

كلٌّ وسِماتُه،

كلٌّ وصِفاتُه،

ليبقى الإنسان جسداً وتختلف الأرواح،

"ضَـلَال"

بالضّم أضُم نفسي.. وأحضن يأسي،

بالظن لا أمشي.. بالضاد والنون،

السكون على وجهِ وداخلي جنون،

أَصرخ أركض،

أقمش أعض،

كرضيع يمسك نهدين بيضاوين،

الحياة قاسية،

أمسكتني من أُذني ونطحتني ككبش،

خارت قِواي،

سقطتُ لأنزف من رأسي،

من قاعِ كأسي،

الليل طويل والنوم مكافأة،

والأرق مكافأتي من تعبي ويأسي،

لتطول الأيام،

لأعيش يوماً كمئة عام،

في غرفة وحيداً،

أشاهد ظلال الأطفالِ تكبر على الجدرانِ،

أمامي،

لتشيخَ قبلِي،

وتتركني أعاني،

ما أقوى الحياة.. وما أضعف البشر،

ما أغلى النور.. وما أرخص القمر،

أعطي ولا أخذ،

أولد لأموت،

أموت لأرتاح،

والراحة خرافة،

كإله في الأساطيرِ اليونانية،

وكعبدٍ في العصور الجاهلية،

تختلط الأحاديث والقصص،

حسب أُدلُوجَة المرء وكيف تخدمه،

"كل الأحياء"

بعد الله والنبي والكتاب،

قدّسنا الخبز والزيتون والرمان،

وزهرة الأقحوان،

إننا في حرمان،

في أغلب الأحيان،

النفس وطن،

والحرية والعدالة والكرامة،

مكة والقدسُ .. قِبلاتنا،

على الجَبين قُبلة وعلى الجرح ملح،

النبيذ أكثر قدسية من الماء،

عندما كان كذلك،

لم يعد كذلك،

والليل قدّسناه،

والنهار أقلّ من ذلك،

غرباء،

أصدقاء،

غرباء،

ولا زالت الغربانُ تعلمُ الإنسانَ،

قُتِل الإخوة في غرفة،

والأبناء،

كل الأحياء،

الحق اليوم باطل،

قهوة أيها النادل،

سوداء في كأسٍ كالثلج بيضاءَ،

دماء على الثلج،

زيارة القدس فرضٌ بعد الحج،

****

كل شيء نسبي،

كل شيء عبثي،

سأذهب لزيارة ضريح شخص متوفي،

إذا لم أذهب فلا مشكلة،

غباءٌ فعل شيء كهذا،

منذ متى نزور الموتى،

والأحياء فينا موتى،

نستهلك الهواء والإحساس مات،

الشيعة يَلطمون حتى تسيل دماؤهم،

يشربون الماء الساخن،

هل تغيّر شيء؟

جنون،

أتغنى بالطبيعة والفطرة،

الحيوانات في قطيع،

البشر،

وأنا وحيد،

يائس كالحجر أو أكثر،

لأن الشجر عالي يصعب الوصول إليه لتَقبيله،

عانِقِني أنا لستُ شجرة،

أنا إنسان،

وهذه حسرتي على الرّيحان،

"فلسطينُ"

أين الحق؟ أين العدل؟

فلسطينُ انتِ،

فلسطينُ بيتِ،

أطفالك مشردة،

لا! لن تموتِ،

العالم قاسٍ،

لم يرحمكِ،

أين العدل؟

أين عمرُ،

ارتادُّوا،

بعد اسلامهم كفروا،

لن يدوموا،

يتساقطون،

مثل أوراق الشجرْ،

انكسروا،

قلوبهم قاسية كالحجرْ،

أين العدل؟

هل سيعود؟

طبعاً سيعود.. أجلْ،

الأرضُ ستحيا،

في القريب العاجلْ،

يا تاريخ سجلْ،

نموت أحرارْ،

****

في صباحِ ذات يوم من أيام الخريف،

تساقطت قنابل وصواريخ،

تساقط البشر قبل أوراق الشجر،

كارثة حالت أين المفر؟

مصطنعة من فعل بشر،

ماتت أُلوفٌ من الأبرياء،

أطفال ونساء،

من فلسطين والعراق،

من سوريا واليمن،

صانعوا الفراق،

بالقطن والكفن،

"صَامِـــــدُونَ"

ألف.. ألفانِ،

عشرون وألفان،

ثلاثة وعشرون وألفان،

الدّنيا في تفانِ،

والبشَر في طغيان،

ضاقت بِناَ والحزن بحر بلا هَذيان،

نبكي على أيام ماضت،

وعلى لحظات لن تعود،

وعلى أنفسنا وحظنا المفقود،

نموت ومن يشعر،

نولد لكي نكبر،

فتكبر أحلامنا وأوهامنا تاركةً وراءها ناساً صَاغِرِين،

ناساً هم نحنُ،

نركُضُ حتى نتعب،

ننام لنرتاح بأرق نتعب،

فنمضي الليل ساهرين الصباح منتظرين،

لنعمل ونكدح،

نعاني في صمت،

نموت في صمت وسط ضجيج العالم،

نموت صامتين تاركين أرواحنا تجول بين الجدران،

وفي أماكن اعتدنا الجلوس فيها،

ندمر قلوب الأصدقاء والأحباء،

ندمر الطيبين الطاهرين والعظماء،

ندمر المحبين بحق مثلما دمَّرُنا السابقين،

قساوة الحياة ليس لها مثيل،

ونحن نقسو على بعضنا.. والبعضُ منا يقسو على نفسه لإرضاء الآخرين،

مثلما أفعل وتفعل،

نجعل شخصاً يتعلق بينا ونرحل،

نترك من يستحق أن نبقى إلى جانبه،

نترك الحب،

نترك نبض القلب،

ونتجه حافين إلى طرقات العثراتِ والشوك،

نحتضن سيوفاً حادة،

لا تستحق مِنّا نظرة،

****

صوت الذباب يشعرني بالملل والاكتئاب،

كأنني جثة هامدة في وادٍ غائِر،

تنقب الغربانُ من رأسي،

وسط الصّحاري،

أموت ببطءٍ،

دواليب الساعة ثقيلة على نفسي،

الوقت متأخر رغم أنها الثامنة صباحاً،

عملِ نَفسُهُ منذ خمسة عشر سنة،

أُقلب الأوراق وأصحح الأخطاء،

لا شيء جديد،

الملل شكل من أشكال التعذيب،

موت بطيء،

أضرب بكل أطرافي،

أريد أن أنقذ نفسي من أطفالي،

أغرق والمياه وصلت لأنفي،

استنشقت غباراً ودخان،

أقف لأجد الفراغ تحت قدماي وفي كل مكان،

شيء يركض خلفي ويتبعني وأنا لابسٌ توباً طويلاً كبير علي،

أتعثر.. أسقط.. أقف.. أركض.. أقع.. أقعد،

وهكذا دَواليك،

كوابيس أعيشها على التوالي،

موت بطيء،

قلب ضعيف،

"بريق الأمل"

على بِسَاط من ريح حُملت أحلامي،

حُطمت أصنامي،

بعيد عن البيت والجو عاصف،

طريقي لولبي لا يُوصِل إلى وِجهة،

وحصاني المجنح رحل وتركني في منتصف الطريق،

طار في السماء عالياً،

تاركاً وراءه جثة أحبته،

جثة تتحول يوماً بعد يومٍ إلى صخرة،

أيها المطر أدبني،

أيها العود أطربني،

أصبحت من المعذبين على الأرض،

سطح يائس بائس يظن نفسه كُروي،

ماء مالح وفير يظن المياه العذبة القليلة فاسدة،

أتجرعُ ماءً مُرّا كالدواء،

لكنه ليس ماء،

هدية من السماء،

الوحدة واحدة،

وأنا وحيد،

أمشي وأجول لكنني حقيقي لا أرحل،

حاضر في كومتي دائما في غرفتي،

أنتظر.. ولا زلت أنتظر رغم أن الانتظار مُمِل،

أعرف ما يصيب المُنتظِرِين،

أعلم أنهم هالكون،

لكنني مُصِرٌ على الانتظار،

سأنتظر نجمة من بريق الأمل حتى لو كلف ذلك العمر كله،

حضن دافئ في الليالي الباردة،

قبلة على الجبين،

قنبلة على أرض فلسطين،

ليل طويل بطول ذيل التنين،

ناعم الملمس كثعبان وسَمُّ اللسان والأسنان،

زنزانتي عقلي.. وتفكيري مفتاح،

أولد لأموت.. أموت لأرتاح،

لم أُفهم ولم أَفهم لِمَ كل هذا الركضِ دون نجاح،

لم كل هذا الركض إذ كنت سأموت،

الآن.. ليلاً.. أم أنتظر حتى الصباح،

موت بطيء،

هذا أسوأ أنواع الموت،

معذبون في الأرض،

أعزف بكلتا يداي على آلة عجيبة لا أعرف ماهي،

بيضاء سوداء الأصابع،

صوتها عذب،

يلامس أرقـَى المشاعر،

يا عازف البيانو اعزف لي سمفونية بمشاعرك،

الموسيقى تُصنع بالحب،

والطعام كذلك،

بالحب نعيش لنموت نحن ويبقى الحب نابضاً في قلوب أُناسٍ آخرين من بعدنا،

****

على تل أخضر تملأه زهور صفراء،

أجلس أشاهد الفراشات تكبر،

اسقي شجرةً وجراداً،

وقلباً أعزب،

أنظر للهاوية بعيون وردية،

إذا سقطت هل سأموت أم أُكسر،

أَ أُكسر للمرة المليون؟

لم أشاء أن أموت مرتين،

لكنني فعلت،

في كل مرة أقع.. أُكسر.. أموت،

أموت ببطءٍ،

لتأتي فراشة حاملة زهرة وتحطها على سريري،

و استيقظ من قبري،

لأنظر وأُنادي بأعلى صوتي من هناك؟

الوحدة في السقف وعلى الجدران،

البلاط بارد ورِجْلاَيَ ترتجفان،

عيوني مغمورة بالدمع حتى الأجفان،

لتُجيب من بعيد: أنا الفراشة من أرض الاقحوان،

هل تتذكرني؟

أرض الخيال والعفوية.. أرض الحرية والأحلام،

أرضي،

تركت عيوني تنظر وغَدَرَت،

أجزاءً من قلبي المحطم على الأرض،

لِمَ وُلدت؟

لِمَ وُجدت؟

ليجب الليل: أنا السبب،

الحصان المجنح رحل وأنا حولت تضليله،

لكنك في مكانه ضَلَلتَ الطريق وبِتَّ في العراء،

لينزل عليك نجم من السماء،

حاملاً إليك رضيعاً تركته أمه في الخلاء،

كان ذلك ابن زهر اللوز،

ابن واحدٍ من الأساطير،

لقى حتفه في زلزال الحوز،

وأنت راعيه الآن،

مثلما رعتك أزهار الرمان،

"حربٌ داخلية"

حدود ألغام.. أشواك وجنود،

نتوهّمُ أن العدو سيأتي من الخارج،

بينما العدو داخلي.. في الداخل معنا وبيننا،

حرب نَفسيَّة،

تتنوع الحروب،

لكن الخسَارة واحدة،

أرواح وعواطِف،

نحارب لنكسب الأوهام،

لنربح حروباً لا نعرف لما نخوضها وكيف بدأت،

وُجدنا وَوَجدنا أنفسنا فِيها،

أنا،

حربي داخلية،

أقاتل أشباحاً لا أعرف مصدرها ولا أعرف ماذا تريد مني،

فقط أقاتل،

يستمر القتال،

ليل نهار،

أمسك غصن زيتون كأنه بندقية،

أضرب ليتناثر الغبار،

وتتطاير أوراق الزيتون وحَبَّه الأخضر،

مُتلألِئة في أرجاء المكان،

كقنبلة فسفور ودخان،

حرب وسلام،

نور وظلام،

لا شيء حقيقي،

لا شيء منطقي،

لا أحد رابح،

لا أحد منتصر،

الحرب خسارة الجميع،

الحرب هي المنتصرة والرابحة،

الأرضُ لم تعد صالحة،

الناس باتَت طالحة،

الكل يفكر في نفسه،

يدافع عن ذاتِه،

الحرب صَنَعت من الإنسان كائِناً أنانيّاً،

جعلت مِنهُ حيوان،

الجنود يموتون ويُنسَون،

القُوّاد تبقى أسمائهم حية،

تُذكر في كتب التاريخ الكاذبة،

الحرب تعيش محفورة في الذاكرة،

وعلى أورق الكتب الزّائفة،

"تَأَمُّلُ المصير البائس"

مئات الطيور في سِربٍ تطير،

وأنا تحت الأرض في سرداب قديم،

أنظر إلى الهياكل العظمية،

أتأمل المصير،

بعد حياة بائسة من الوحدة،

أموت وأصبح كومة عِظَام،

أُنسى كأني لم أكن،

أترك الناس والبُنيَان،

أترك كل جهودي تذهب سُداً،

وأرحل تاركاً كل شيء وراء ظهري،

إذاً لما كل هذا التعب؟

لأرحل للبعيد تاركاً شخصاً آخر يواجه نفس مشاكلي،

نفس مصيري،

شخصاً قد يَقتلُ أو يُقتل،

لسنا ملائكة،

لسنا صالحين لدرجة كبيرة،

لسنا شيئاً سوى مخلوقات ضعيفة،

تؤذي الأضعَفَ مِنها،

نحنُ حيوانات بالفطرة،

ولا نرضى بذلك،

أقولها وأعيدها،

نحن مخلوقات أضعَفُ من الحشرات على الحشائش،

الفراشات أجمل مِنّا،

الصراصير أقوى مِنّا،

إذاً لم نطغى ونتباهى،

نقول أننا نملك مَلَكَات لا نملكها،

لماذا لا نرضى،

لسنا قديسين ولا أنبياء،

ندّعي أننا نمتلك العلم،

في الواقع إنّ البشر أغبياء،

فقراءٌ تحت أحذية الأغنياء،

ضعفاء تحت رحمة الأقوياء،

وهكذا،

نبقى في السرداب،

يأكلنا الغل،

يلتهمنا السراب،

متأخرين في الحياة،

تطورنا كذبة،

نحنُ وَهَنُ الكون،

في آخر النفق،

في نِهاية النِّهايات،

ننتظر الحظ،

"سماءُ النّسيان"

أرسم بألوان الماء والدماء على سماء النسيان،

سماء واحدة تغطينا والنجوم تجمعنا،

كل في زاوية وكل عيناه على القمر،

نمشي في سهول الزهور على عشب رطب،

نركض وراء الفراشات ممسكين بالأمل،

نتعطر بالتربة قبل مغادرة الأرض نحو المجهول،

في الكون مجرات وآلافُ النجوم،

لكل واحد مِنّا نجمته،

فأين نجمتي؟

أين حظي في هذه الحياة؟

وعلى هذه الأرض؟

هل أخذه النوم الذي تركني في سريري ورحل؟

هل أخذته الرياح على ورقة من كتاب قديم؟

أم التهمته الحيتان في محيط النسيان ولم أعد أتذكر؟

أنني أجلس في المقهى وحيداً أنتظر مرور الوقت،

الوقت الذي هو عمري،

قهوتي باردة لكنها لا تزال حارة،

أحبها قليلة السكر،

مُرّة كحياتي،

أطرح أسئلة وأنا عارف أنه ليس لها جواب،

أحتسي الشاي الساخن باعتباري له ثقافة،

أكل رؤوس أصابعي وشفتي،

متوتر من لا شيء،

بدون سبب،

أَكسِرُ وأَصرُخُ.. أَقطِفُ وأنتِفُ فقط لأنني إنسان،

طبيعي أحب الطبيعة،

لا أشرب حشيشاً ولا أدخن السجائر،

أدمنت القهوة والكتابة،

كتبت جميع الأجناس الأدبية وأنا لا أملك عنها فكرة،

أكره القواعد وكل شيء يضع للأشياء حدود،

كسلك وشباك على الحدود،

أحِبُّ أن أطير،

أحِبّ أن أعيش بلا قيود،

كحمامة حاولوا قص أجنحتها ونجحوا في فعل ذلك،

لكنها طارت عالياً للسماء،

ممسكة في منقرها عرش زيتون تدعوا للسلام،

"أُدوِّنُ لأَنسَى"

أشتري كوب قهوةٍ بعشرة دراهم،
لأكتب قصيدة على ورق ناعم،
بدون أقلام أُدوّنُ في ذاكرتي لأنسى،
استنشقتُ هواءً عَذْباً كأني في طريقي للأقصى،

كزهرة أقف على رِجلٍ واحدة،
أشاهد حشرة غريبة،
مهاجرة منذ يوم ولم تصل بعدُ إلى الوِجهة،
لم تجد قطاراً ولا حافلة تُقِلها،
تتقاتل للنجاة من أقدام تكاد تدهسُها،
في باب كنيسة تُرتل تعاويذَ،

أصوَت طيور النورس،
وموجُ البحر ونسيمٌ عليل يمُر عبر كثبان رملية نحو السهول،
في تلك التلال سور مملكة قديمة وقصبة،
بلوط و أَرْزْ.. في جبال الأطلس،
وناس تساوي الملايين في المتاحف،

عملة نادرة من الزمن الجميل صبرت لغلبة الدهر وتَعبِ السِّنين،

لتبقى راسخة بين طيات الزّمكان،

طول العُمُرِ معاناةُ الإنسان،

شعب منسي،

كساه الثلج والحطب دفء،

يشرب الحساء من فم اللهيب،

ليعيش بالكاد أياماً،

من صقيع الشتاء وحَرِّ الصيف،

لتساقط الأوراق حاملة معها أرواح الناس ودموعهم،

ودمائهم في حوادث تقشعر لها الأبدان،

و ترتجف منها الأقدام،

****

أوراق صفراء في كتاب قديم،

وُجد في قاعِ حفرة من حفر الجحيم،

على صخرة من صخور كهف الصدى،

يتردد الصوت من بعيد،

أنا ثورة.. أنا إنسان.. أنا حر،

محفوظ إسمي على لوح طين،

وعلى جلد الغزال،

وفي أعلى الجبال،

أصرخ للأسفل،

من على جرفٍ ممتد لكيلومترات،

أرى الهاوية وهي لا تراني،

أفتش عن حجر أضرب به ثعبان ملتوي،

رأس بقرة وجمجمة حصان من العصر الجاهلي،

جارية تحمل قنينة خمر أرجواني،

تلبس نصف لِباس،

شكلها كالكمانِ،

أنا حُرٌّ أكتب قصيدتان،

واحدة لي وواحدة لها،

واحدة غزل والثانية هجاء،

أشتهي قِبلة الكعبة،

وقُبلة من الجارية،

قبلة من نفسي في مرآة،

منذ مدة لم تراني،

ومنذ عامٍ لم أراها،

التقيت الحسناء في طريقي إليكِ،

كانت على بُعدِ خطوات تنظر إِلَيَّ،

لكني لم أستطيع أن أبادلها النظرات،

لم أُكَلِّمهَا،

رجوت عطرها ألاَّ يُفارقني،

لكنه أختفى بين رائحة العرق وزيت السمك،

ورائحة الوقود والقيء،

رُحت أمشي لم أستطيع النظر لخلفي،

أُفكر.. أَتخيل،

كنت في حلم كما العادة،

لكن.. ما مصدر كل هذه السعادة؟

هل حصلت فلسطينُ على الاستقلال؟

أم أن قلبي تعرض للاحتلال؟

أم أن أهل المغرب والجزائر تصالحوا؟

فرحة العيد أتت بدون عيد،

أبتسم للعابرين بعدما وعدت نفسي ألاّ أفعل،

أنظر للسماء أريدُ أن أرقص،

موسيقى في أُذني،

كمانٌ يعزف،

وأنا لم أستوعب بعدُ ما الذي حصل،

"نسِيتُ من أَنا"

نسافر لأماكن بعيدة ونحنُ في مكاننا،

نركب براق السعادة،

الواقع سهل في الكتابة،

خريطة الوطن تُرسَم بدم الشهداء،

هل يُكتَب النصر للمظلومين؟

هل يشبع شِعرِ المحرومين؟

خُبزٌ على ورق،

يُشبِعُ الرّغبة ويَقتُل الأرَق،

يُشعِرُ المرء بتحسن مدام يرغب بالحياة،

يبعث نور آخر النفق،

دفءُ من لا دفءَ له،

يا ليت هذا حقيقي،

****

رائحة المدينة تشبه المجاري،

الأماكن المزدحمة عدوة لي،

نشرب نخب الحياة القاسية،

الآدب رفاهية،

ولأني مَغربيّ نسيت من أكون،

نسيت من أنا،

يا موت أنقذني من شر الحياة وبلاء البلاد،

متطورين لدرجة أننا نعيش قبل الميلاد،

رمزنا القصدير يغطي أملاً و أحلاماً،

خوفاً من المعصية لزلنا نعيشُ أياماً،

من الألوان الأسود لوني،

الحياة وردية في نظر من لا يعاني،

أما أنا.. سوداء سوداوية في عيني،

****

أمة كاملة منسية،

أمي نبع الحنان لما الفقراء مقصية؟

لماذا علي أن أستمر إذا لم أرغب؟

كان علي ألاّ أولد أصلاً،

إذ كانت الوحدة مصيري وهي كذلك،

حياة الانطوائية،

ركضت لأحصل على حضن بعد يوم قهر طويل،

لأتلقى صفعة وأعود بالخذلان،

مكسور القلب،

دموعي تطل.. تريد أن تقفز وتهطل،

أبحث عن المعنى،

أتسأل ما المغزى؟

أطلب العون من الإله،

أحصل عليه،

قضمة تفاح سبب في عذابٍ أبدي،

يدوم الحال أو لا يدوم.. لا يهم،

ما دامت الحياة عبثية،

الأيام تتكرر منذ قرون،

الوقائع متشابهة،

لا شيء جديد،

أيها الوطن! أيتها المعاناة!

إنكما وجهان لعملة واحدة،

"وَحِيدٌ في الزِّحام"

وحيدٌ في شوارِعٍ مزدحمة،

أرى الأشياء في صورة ضبابية،

بالكاد أرى أين أضع قدمي،

تتلاقى أكتاف المرّة بأكتافي،

لا أعيرهم أي اكتراث،

أكمل طريقي وظهري منحن،

تعبان أبحث عن وسادة أضع عليها رأسي،

لا راحة ولا حنان،

كل الناس تُهَروِلُ مسرعة للإمساك بخبز طائر،

أما أنا فحلمي أن أقطف حجر الزمرد من شجرة عائلة،

والصقه في شجرتي حديثة الغرس،

على النيل أبيات شعرٍ وحفلة عُرس،

وطائر اللّقلاَق يرقص على إيقاع قطرات الزئبق،

و دودة القز سعيدة لأنها تتحول لفراشة،

وفصل الربيع،

أنا وحيد أنتظر هُطولَ المطر،

لكن الشوارع العريانة تعترض الأمطار،

هذا ما قاله الشيخ،

والاسمنت لا يترك مجالاً للأعشاب تنمو،

أين تنمو؟

تحت تنورة،

في خشب صبورة،

في حافّةِ حائِطٍ سميك،

بجانبِ السحاب،

بين أصابعي،

في خصلات شَعر فتاة،

أو في شِعري،

نحلة اشترت السكر من محل المربى،

لأنها لا اتعلم حقيقة العسل،

بعوضة شربت من دمي،

قلتُ لا بأس.. أنتِ أفضل من البشر،

العق الطين المُحرّم،

لأني اشتريت له تاج محل،

من أمير المدمنين.. إلى أميرة الموتى،

أنت الحب والحبيبة والمدينة مقبرة،

أنتِ صوتي في النوم،

وصورتي عندما أرى الصور ضبابية،

عرشُ توتٍ بري طعمهُ لاذع.. حامض وحلو،

عرشٌ فيه أشواك،

وقلبٌ فيه أشواق،

قلبي فيه دمٌ ممزوج بالسم والعسل،

مع قطعة فراولة،

في قِدر أسود،

و رماد من حطب الغابة الجبلية،

مكتوب تحته باللغة الأمازيغية،

وأنا أُترجمها،

تَلذّذ دقيقة وتَألّم حتى الموت،

"محاورة العدم"

يذهب الجميع للخلود إلى النوم إلاَّ أنا،

لدي موعد في كل ليلة مع الأرق،

نبقى يقضين مستيقظين نَعُدُّ عدد الأفكار،

تأتي واحدة لتختفي وتظهر الأخرى،

ليست بأفكار عادية،

بل علمويّة وميتافيزيقية،

تحاور الوجود والموجود في آنٍ،

تحاور مكونات الكون والهيولة الأزلية،

تحبني وتكرهني لأني أشاركها نفس الأفكار الفلسفية،

عدمية.. عبثية.. براغماتية،

وحيدة وسط خلية بشرية،

****

في جحر من طين وتراب رملي،

من بيت النمل أخرج لأرى العالم الفارغ،

كل ما أحتاجه موجود في السماء،

نجوم وغيوم وأمطار وقطعة سكر،

على شرفة البيت أو من نافذة المكتب،

أبصق على الدنيا،

الأرق لا يُغادِرُني لذلك يضطر أن يشاهد معي نفس ما أشاهده،

كأنه ممزوج في بؤبؤ عيناي كلؤلؤة في صدفة بحرية،

يشاهد الظلم والظلام من عيني،

يشاهدني أتأكل وأتساقط قطعة بقطعة ببطءٍ في داخلي،

تتساقط مني أحلامي وآمالي وصحتي،

لكنه لا يريدني أن أرحل،

لا يُريد أن يَرحل،

****

مثل قطعة حديد صَدِأت،

هكذا الإنسان الحديث،

سيجَارة وحقد،

موت ببطء،

اخترنا الموت على حساب العبثية الدُّنياويّة،

جندي في أول صفٍ للمشاة،

هزمت الموت لأني لا أخافه،

هزمت الحياة لأني لم أعد أرغَبُ بِها،

هزمت أعدائي في معركة نفسية،

كأنني لم أخسر،

رُغماً عني،

فقدت العمر الذي هو ذخيرتي،

ضيعت دموعي في وِحدتي،

جرعتين من مرارة الحياة،

واحدة لي والثانية لي،

واحدة في الصباح،

والثانية في المساء،

لأعيش أيامي معافى من عفن البشر،

متكئ على حائط الماضي وأفعال لا تُنسَى،

عجين الطين.. بشر،

عجين الطحين.. خبز،

عجين العواطف.. إنسان،

عجين الكذب.. سياسي،

عجين الكذب والمعرفة.. عالم،

عجين النهب.. حاكم،

يبقى الإنسان من عجينٍ،

كل على حَسَب،

وأنا عجين متشقق كحلوى الفقاس،

مُتَّزِنٌ أخنق الأكِل،

مثالي متصنع،

أضع الناس في أكياس وأنساهم،

لأنني مريض والناس مرضى،

العلاج ابتعاد عن الناس،

عزلة في جبال الأطلس،

ونسيان أن هناك آخرين،

"التّغيير"

ينبح كلب على المنبر،

يقول: إن التغيير واجب،

أجيب: التغيير يبدأ من الذات وليس من الغير،

التغير قضاء على الفساد لا تركه،

يقول: أنا أقصد تغيير العقول،

أقول: أنتم تحاولون تدمير العقول والخروج عن الفطرة،

أنتم تنتمون للأحزاب الخطرة،

فاسدون،

تحاولون إفساد الأجيال،

لقد نجحتم بعض الشيء،

هل سمعتم بالإبادة البشرية؟

أجاب: أيها الصحفي أسئلتك هذه ستجلب لك المشاكل،

إني أنتمي لمنظمات حقوقية،

دعنا من أسئلتك الفارغة،

للتنمية نحنُ نَسعـى،

تنمية ماذا؟

نهب البلاد والعباد وتدمير الاقتصاد؟

كيف هذا؟

أيها الصحفي!

لقد اشترينا كل الصحافة والاعلام،

فمن أنت؟

أنا صحفي حر.. لا أُباع ولا أُشترى،

هَهْ.. من الأن أسئلتك مرفوضة،

لن تلقى أي جواب عليها،

انتهى اللقاء،

خرج الصحفي.. مات.. في عمليّةِ اغتيال،

"جُبناء حرب"

قذائف تملأ الأجواء،

تسقط،

واحدة اثنتان.. كالمطر دماء تسقي وجوه السكان،

قنابل فسفور وأخرى دخان،

دبابات وجنود يقتحمون المكان،

سرب من الطائرات الحربية تدوي قُبّة السماء،

وسرب من الطائرات المسيرة تقصف العراء،

أسرى ومدنيون يُرمَونَ بالرصاص،

يُحرقون أحياء.. خنقاً بالغاز،

يُرموْنَ للكلاب في الأقفاص،

الجنود يرتدون بدلات ودروع من نحاس،

يرتدون أقنعة ملثمين كي لا تظهر على وجههم ملامح الخوف والعار،

قائدهم جبان يأمرهم من بعيد،

اقتلوا الكل وبعد التمشيط سنعيد،

القصف والقتل والدفن والردم ونفس العملية،

تأكدوا من موت الأطفال واحرقوا البقية،

لا أريد رؤية أطراف بشرية،

دمروا كل شيء يدل على أن بشراً كانوا هنا،

امسحوا هذه المدينة من الوجود،

غَطّوا الوجوه،

فقد ينهضون من تحت الأنقاض،

ويرشقون بيوتكم كما فعلتم ببيوتهم،

وعندها لن يكون هناك عُرس،

ستكون مجزرة حِدَدُها ألفَ سنة،

نحنُ محتلين ضعفاء نختبئ وراء الأسلحة،

نَكذِبُ على الاعلام.. والاعلام يكذب على الجماهير،

لسنا سوى هجين بشر وحمير كالقناطير،

لتسقط قذيفة على أرض الشهداء،

كل الجنود سمعوا طنين،

صراخ.. بكاء وأنين،

تحت الأنقاض يَدُ صغير،

أقدام الجنود على الجثث تسير،

كَـــفـَـــــــى،

والله إن الظالم لن ينتصر،

لِمَ يموت إخواننا ونحنُ أحياء ننظر؟

لما الحروب؟

لما الذنوب؟

لما الندوب؟

أعيدوا الأرض إلى أهلها،

انصروا الحق لاَ تَصمتُوا،

أخذتم الخلايا من نَحلِها،

اختلطت دموع الحسناء بالحناء بِكُحلِها،

تباً لثرثار ليست له نفس على إخوته،

تباً لكل كلب ينبح من فراغ،

تباً لكل جبان يخاف السلاح،

تباً لكل جبان يختبئ وراء السلاح،

تباً لكل عاشق يخاف الفراق،

تباً لكل أدابٍ أن لم يكن واقفاً مسانداً للحراك،

"طوفان الأقصى"

بعد ستة أكتوبر،

سبعة أكتوبر،

طوفان الأقصى،

كتائب القسّام لإبادة الاحتلال تسعى،

لنصر الحق،

لتحطيم صنم الوهم والضلال،

أمة من الرجال،

بفؤوس تهدم الجبال،

بجرفة اسقطت العدو والحدود في النزال،

الفلسطينيون زلزال،

دمتم في سماء الأرض أنواراً،

دمتم نجوم العروبة الأحرار،

****

سبعة أكتوبر،

السادسة والعشرون دقيقة صباحاً،

صواريخ تملأ السماء،

رجال كالغمام،

شظايا تملء الأرجاء،

صقور جارحة تصطدم بالحمام،

تزحف وتتقدم إلى الأمام،

الاحتلال في سُباتِه.. نَـام،

صوت قنابل.. إنذارات.. غبار ودخان،

مبانٍ عظيمة تحولت إلى ركام،

دبابات في ثوان غدت حطام،

خوف وهلع،

كيف هذا ؟!

ألن نعود محتلي فلسطين بعد الآن؟

انتهى احْتِلَالُكُم وانتهى ذاك الزمان،

فلسطينُ حرة مستقلة،

والقدس عاصمة العالم،

"مُقَاوِم"

أنا لي نفسي والنفسُ نفسي،

أنا فلسطيني والقدسُ قدسي،

وحيدٌ بين الناسِ أمشي،

أُشاور هل أُغادر،

أم أبقى و أُعاني،

أموت وحيداً في عالمٍ أناني،

كَسَرَ وِجداني،

أحلامي،

أيها الناس إن أرض فلسطين حرة،

والقدس عاصمة الأرض،

والأرض أرضي،

أيها الناس كيف أرضي ناس أرضي وأنا لستُ راضٍ عن نفسي،

مريض.. أعاني،

مَاتَتِ الأمَاني،

الفهرس

إهداء..... 4
تقديم 8
منطفء وأشعر 10
عابرون ببطء 15
قاسية الحياة 19
رحل الطيبون تاركين أرواحهم تجول في جانبي.....21
دفء بارد 25
وحدة مغترب.....27
هدوء 30
لم يسبق لي.....32
وردة.....34
سجنت في الهوى.....36
أنا والحياة.....38
بائع السعادة 41
كتلة أحلام 47
نبتلى بأشياء زائلة.....51
الكفن دفء الوطن 54
الغرفة الكونية المظلمة.....57
الكينونة المنعدمة 59
مدينة القصدير 61
قبراسمنتي.....65
السيدة والطفل.....68
المهزلة.....70
ليلة طويلة 81
غرباء في وطنهم.....85
البكاء لغة.....88
ثابت وممل 92
ثورة على عروش الزيتون.....95
الموت نهاية البداية.....97

الشعب المنسي.....99
من الصباح حتى المساء 102
فتيل الورد.....105
المتعب 107
العذاب الأبدي.....109
الحنين.....111
خيال واقعي.....113
الإنجاب أزمة الوجود 115
الأرض باللون الأسود.....117
الأرض بحجم العناء.....120
دماء على الألواح 123
اخترت المشقة واخترني التعب.....126
أمشي غريباً في أرضي.....128
مرضى.....131
ضـلال 135
كل الأحياء.....137
فلسطين 140
صامدون.....142
بريق الأمل.....146
حرب داخلية 151
تأمل المصير البائس.....154
سماء النسيان.....157
أدون لأنسى.....160
نسيت من أنا 165
وحيد في الزحام.....168
محاورة العدم 171
التغيير.....175
جبناء حرب 177
طوفان الأقصى.....180
مقاوم 182

غبار العبث

بين يديك نصوصٌ حرة وُلدت من رحم المعاناة، وتمرّدت على كل القوالب لتُعري وجه الواقع بأسلوبٍ سوداويٍّ حاد. هنا، لا تُقرأ الكلماتُ فحسب، بل تُعاش كشظايا من روحٍ مغتربة تبحث عن معنى وسط ركام العبث والملل الوجودي. يغوص هذا الكتاب في أعماق العزلة، ويلامس وجع "الشعب المنسي"، ليكون مرآةً لكل من يشعر أنه وحيدٌ في هذا الزحام. إنه صرخةٌ في وجه الصمت، ومحاولةٌ للتنفس في عالمٍ يضيق بالأحلام. نصوصٌ كُتبت بصدقٍ جارح، لتكون رفيقاً لمن أدرك أن الوجود سؤالٌ بلا جواب، وأن الشعر خبزٌ يوميٌّ للجميع.

" أيها العابرون،
قفوا دقيقة صمت حِدَاداً على أرواحنا الميتة وجثثنا التي لا زالت تسير ".

٢٠٢٥